سلسلة الداء والدواء

طاعون العصر

الفرقة بين المسلمين

وعلاجها في الكتاب المبين

الدكتور / عمر بن عبد العزيز قريشي

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(تقريظ)

أسباب الفرقة بين المسلمين وعلاج ذلك

من كتاب(طاعون العصر)، الفرقة بين المسلمين

لمؤلفه الدكتور أبي حفص عمر عبد العزيز

نظم من بحر الرجز :

كتبه : أحمد محمد يور الشنقيطي

هذا وأسباب وقوع الفرقة
والاختلاف بين كل فِرقة
رتَّبها الشيخ أبو حفص عمر
وذكَر العلاج فاحفظْ ما ذكَرْ
أولها الشيطان فالشيطان
لك عدوٌ أيُّها الإنسان
وهْو عدوٌ للورى لَدودُ
ما لعدائه لهمْ حدودُ

وذاك داء راسخٌ في علاجه
وخالفِ الشيطان في منهاجه
والسبب الثانى - بدون بهتان -
مخطَّطات أولياء الشيطان
شعارهم (فرّقْ تَسُدْ) وهو شعارْ
قد فرَّقوا به الورى في كلِّ دار
لكن بمعرفة أولياء
إبليس تُشفَى أحسن الشفاء
ونشأةُ الفرق والأحزاب
أهلِ الضلال ثالث الأسباب
فكلُّها حادَ عن الصِّراطِ
ما بين تفريط أو الإفراطِ
علاجه البحث بلا تناهى
حتى تُميِّز سبيل الله
والرابع النزاع في السياسة
والملك والسلطان والرئاسة

فكم أباد حبُّها فريقا
وكم دمٍ في شأنها أريقا
لكن بإيشارك والحرص على
مصلحة الدين تُداوى العللا
وخامسٌ حميَّة تُضافُ
للجاهلية لها أوصافُ
فداوِ بالحرص على تحقيق
معنى الأُخوَّة اشتدادَ الضيّق
وسادس تعصُّب أعمى له
بالعصبيَّة هناك شبه
فالعصبيَّة أو التعصُّب
كلاهما للافتراق سببُ
داوِ بالإنصاف والالتزامِ
بأدَب الخلاف للسَّقام
وجهلنا طبيعة الدين الَّذي
جاء إلينا سابع الأسباب ذي

فداوِ ذلك بعلم نافعِ
مع تفهُّم صحيح بارع
وميِّزِ الظَّنِّيَّ من ذا القَطعِي
والأصلَ قدِّمه على ذا الفرع
وثامن الأسباب فهمٌ خاطئُ
وهو عن الجهل هناك ناشىءُ
لكن بتصحيح المفاهيم الَّتي
قدْ أخطأتْ دواءُ تلك العِلَّة
والاتِّباعُ للهوى والإعجابْ
بالرَّأي تاسع لهذى الأسبابْ
أخلصْ تَجرَّدْ من هوًى واحتَرِمْ
رأى سواك ذا دواءُ السَّقَم
وعاشر الأسباب تلك ما يَزُجْ
به عدونا على شكل حُجَجْ
مِن افتراءآت على الدين القويم
وشُبُهاتٍ ما لها أن تستقيم

فــداوِ بالفـــهم لفـــقـــه الواقعِ

مَـعَ تـسـلـحٍ بـعـلـم نـافـعِ

هذا وإنَّ السـبب الحـادى عـشـرْ

الافـراطُ والتـفـريـطُ من كل نَفَرْ

عــلاجَــه اتـبـــاع منـهج وسَطْ

بـلا تـنطُعٍ يـجـــــرُّ لـلـشَّطَطْ

وآخـر الأسـبـــاب فـقـدان الورى

خـلافـةً راشـدة كـمـــا نَرى

فـاعـــمل على دواء تلـك الآفـهْ

ولتـسْعَ في إعـادة الخـلافـهْ

خــلافـة هـدفـهــا تحكيمُ

شــرع به قـــد كلَّف الحكيمُ

فـــهـــذه يـا طـالبًا لـلحق

أسـبــاب الافـتـراق بين الْخلق

فــاحظ بـعــدّها أخي وعَدّها

إذا أحـطـتَ خبْرةً بـعَدّهــا

وبـالـصـــلاة اخـتـم وبـالسَّلام

على الرسـول أحـسنَ الخـتـام

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ .

أما بعد

فنحن - في هذه المرة - مع قضية لها ما بعدها ، إنها قضية الوحدة أو الفرقة، فإن تحققت الوحدة استطاعت الأمة أن ترفع

رأسها ، وتنتصر على عدوها ، وتطبق شريعتها ، وتحيى بدينها. وإن لم تفعل وظلت متفرقة ، فالحال ـ كما تراه ـ يتردى من سيء إلى أسوأ ومن أسوأ إلى أسوأ منه ، ولذلك فعنوان «هذا الكتاب» «طاعون العصر : الفرقة بين المسلمين» جاء ملخصا للحقيقة المرة ، والواقع الأليم ، بعد رؤية متقصية ومستفيضة ، أدركت من خلالها أن أعظم داء ابتليت به هذه الأمة ، يمثل مرضا خبيثا، وداءًا فتاكا هو هذه الفرقة التي حلت بالمسلمين ، والذي أوقعها في شباك هذا المرض إنما هو عدوها الذي اتخذ قاعدة له ، منطلقها «فرق تسد» وقد استسلمت الأمة للمرض ، وصار من أبنائها من يعاون أعداءها ، ويقوم بدور لا يستطيعون هم القيام به ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

إن المسلم الصادق بمجرد أن يسمع مصطلح الفرقة يصيبه الحزن وتغمره الكآبة لما يدرك من أمر معناها ومظاهرها ، وخطورة نتائجها في أي أمة كانت ، فالفرقة هي فتنة عمل المغرضون على إثارتها ، وهي ما دبت في أمة إلا غدت تفقدها كل شيء بعد أن جمعت ما يؤهلها إلى قيادة البشرية ، فليس لها أسباب إلا اتباع الهوى، والجهل، والتعصب، وتحقيق

المصالح الشخصية . فالقائمون على تغذيتها في وسط الأمم قوم خبثت نفوسهم لدرجة الحكم عليهم بالعذاب في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾**(1) وإنما تبيض وجوه أهل الإيمان والسنة والوحدة ، وتسود وجوه أهل الكفر والبدعة والفرقة ، وقوله : **﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾** هو كقوله ﷺ - للأوس والخزرج ، إذ أرادوا القتال بعد أن ألف الله بين قلوبهم - الله ، الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، فقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا»(2) .

لقد كره الإسلام الفرقة باعتباره دينا يدعو إلى الوحدة والائتلاف والتصافي والترابط ، فنجد النبي ﷺ يأمر

---

(1) سورة آل عمران : ١٠٥ ، ١٠٦ .

(2) تفسير بن جرير الطبري جـ٤ ص٢٣ ، ٢٤ .

بالانصراف عن قراءة القرآن ، إذا خُشِيَ من ورائها أن تؤدي إلى اختلاف ومنه إلى التفرق ، فقد روى الشيخان عن جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ قال : «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه» .

أي اقرأوا القرآن والزموا الائتلاف على ما دل عليه ، وقاد إليه ، فإذا وقع الاختلاف ، أو عرض عارض شبهة يفضى إلى المنازعة الداعية إلى التفرق فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة ، وأعرضوا عن المتشابه منه .

قال ابن حجر العسقلاني : في هذا الحديث وغيره الحض على الجماعة والألفة، والتحذير من الاختلاف والفرقة، والنهى عن المراء في القرآن بغير حق .

فالفرقة إذا داء قتَّال، وطاعون خبيث، لا ثمرة لها إلا تحطيم الحضارات واتلاف الجهود وتبديدها وتهيئتها للزوال والإندثار .

أين الأندلس ؟ أين فلسطين ؟ أين أفغانستان ؟ أين البوسنة؟

أين ، أين ؟

بسبب الفرقة ضاعوا !! وبسبب الفرقة تحل الهزائم ، وبسبب الفرقة تنتكس الأمم ، وتذل لعدوها ، ولا ترفع رأسا.

فيا مسلمون :

من أراد نصرا فعليه بالوحدة ، ومن أراد عزا فعليه بالاعتصام .

ومن أراد هزيمة فعليه بالفرقة ، ومن أراد ذلا فعليه بالانقسام.

ومن أراد إيمانا كاملا فعليه بالأخوة ، ومن أراد دولة قائمة فعليه بالوئام .

ومن أراد نقصانا في الدين فليعش وحده ، ومن أراد شتاتا وبعثرة فعليه بالانفصال .

ومن أراد شفاءا لأمراض أمته فعليه بالائتلاف ، ومن دعا إلى زيادة مرضها عمل على إيجاد الفرقة والاختلاف .

* * *

ما هي الفرقة ؟

والفرقة لغة لها عدة معاني : تكون من الفصل ، كما قال تعالى ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾(١) وتكون من الفلق ، كقوله تعالى ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾(٢) وتكون من الفرق ، كقوله تعالى : ﴿فالفارقات فرقا﴾(٣) وتكون من الفرقة والافتراق ، الذي هو ضد الوحدة والتجمع ، كما في قوله تعالى ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾(٤) فالفرقة ضد الوحدة ، وتفرق ضده تجمع وتوحد ، ومنه قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾(٥) .

وهذا الأخير هو مجال بحثنا هذا ، وهو ما جاءت جل آيات القرآن الكريم محذرة منه ، وناهية عنه ، ومنبهة على خطورته، ومحذرة من مغبته وعاقبته . ومثاله قول الله تعالى

---

(١) سورة الدخان : ٤ .

(٢) سورة البقرة : ٥٠ .

(٣)سورة المرسلات : ٤ .

(٤) سورة المائدة : ٢٥ .

(٥) سورة آل عمران : ١٠٥ .

﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾(١) وقوله جل وعلا ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾(٢) وقوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾(٣) وقوله عز من قال ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم﴾(٤) وقوله عز وجل ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾(٥) ففي هذه الآيات ذكرت كلمة الفرقة ، وكلمة المنازعة ، لأنها مؤدية إليها، وكلمة الاختلاف ، وهو قريب منها ، أو بينهما عموم وخصوص .

فالعموم يكون الاختلاف بمعناها ، ومرادف لها وقد استعمل القرآن الكريم كلمة «الاختلاف» بهذا المعنى ، لأنه لما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع استعير ذلك للمنازعة ، والمجادلة ، في مثل قوله تعالى ﴿فاختلف

(١) سورة الأنعام : ١٠٩ .

(٢) سورة البينة : ٤ .

(٣) سورة الأنفال : ٤٦ .

(٤) سورة البقرة : ٢١٣ .

(٥) سورة هود : ١١٨ ، ١١٩ .

الأحزاب من بينهم﴾[1] وكذلك ﴿لا يزالون مختلفين﴾[2] وقوله سبحانه ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾[3] وقوله جل وعلا ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾[4] .

وأما الخصوص الذي بينهما أن الفرقة لا تكون بمعنى الخلاف، ولا الخلاف يكون بمعنى الفرقة ، بل تكون الفرقة مذمومة على كل حال ، ويكون الإختلاف منه ما هو محمود وما هو مذموم .

بين الفرقة والاختلاف :

هناك فارق بين الفرقة والاختلاف .

فالفرقة هي تباعد الأمة وتناحرها،ولا يتعلق بوجهات النظر، بل يكون من الغرور واتباع الهوى،وذلك يؤدى إلى شتات الأمة وضعفها وسقوطها أمام أعدائها ، وهي مذمومة في جميع أنواعها ، لأنها تجلب إلى تفرق الآراء، وتفرق الوحدة ،

---

(١) سورة مريم : ٣٧ .

(٢) سورة هود : ١١٨ .

(٣) سورة الذاريات : ٨ .

(٤) سورة السجدة : ٢٥

وإلى التعصب . وهي دائمـا سببها اتباع الهـوى من غير دليل ولا برهان .

وتفرق المسلمين واختلافهم فتنة من أكبر الفتن ، وهي بمثابة نفق مظلم وطريق شائك متعرج، والفتنة لا بد منها حتى يكون الجزاء من جنس العمل ، ويكون مـقدار النتـائج على مـقدار الجهد .

والفرقة أدت إلى ضعف الأمة وتمزقهـا حتى أصبحت وجبة شهية للذئاب الجائعة المتوحشة فألحقوا بها جراحات عميقة ، ما زالت تعاني منها حتى الآن .

ضربات متوالـية ، وسهام مـسمومـة وجهت إلى هذه الأمة التي كان الأصل فـيها القـوة والعزة والرفعـة والمنعة ، بل تمثل الحق الذي ليس بعده إلا الضلال .

إن سلبيـات هذه الفرقة أكـثر من أن تحصى ، إنهـا عملت على اسقـاط الخلافـة ، وتشتـيت الشمل ، وضـعف الأمة أيا كـانت ، وما دخلت في مـجـتمع إلا كـان مـصيـره الضيـاع والاندثار ، إنها تبدد الجهود ، وتفشل الصف ، وتبعد النصر، وتوجد الفـرصة للعدو ، وتنشـر التباغض والتحـاقد في وسط

المجتمع ، وتقتل معنى الوحدة والأخوة بين الأمة ، تصنع الأمة في صـورة لا تليق بها بين الأمم الأخـرى ، مع ضعف الأمـة سياسيا واقتصاديا وأخـلاقيا ، بل ابعاد الأمة عن دينها ، وفتح باب لرد رسالتها وخروج ضعاف القلوب من زمرتها ، وتوجيه السهام إليها ، والطعن في منهجها .

ومصداق هذا قول الله تعالى ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[1] وقوله عز من قائل ﴿ولا تكونوا من المشـركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حـزب بما لديهم فرحون﴾[2] .

أما الاخـتلاف فـمعناه أن ينهج كل شـخص طريقا مـغايرا للآخر في حـاله أو في قوله ، والخـلاف أعم من الضد ، لأن كل ضدين مختلفان ، وليس كل مختلفين ضدين . والاختلاف علمى ونظري ، وكلاهما لا يؤدي إلى تفرقة الجماعة ولا يمزق وحـدة المسلمين ، ولا يوقـع البـأس بينهم ، لأن الاخـتـلاف العلمى لا يتـجـاوز مـواطن التـفكيـر ومـواضع النظر ، ولأن

(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

(٢) سورة الروم : ٣١ ، ٣٢ .

الاختلاف يتعلق بالفروع ولا يكون في الأصول الأساسية ، ويكون في مسائل الاجتهاد التي لا نص لها ، مثل وجهات النظر بين الناس .

وهذا النوع من الاختلاف جائز لأنه اختلاف تنوع ، ولكن إذا أدى إلى تفرق المسلمين يدخل ضمن الاختلاف المذموم .

وهذا يستدعي منا أن نعلم أن من الخلاف ما هو محمود ، ومنه ما هو مذموم ، اختلاف مشروع ، وآخر ممنوع ، فليس الاختلاف في الثوابت كالاختلاف في المتغيرات ، وليس الاختلاف في الكليات كالخلاف في الجزئيات ،وليس الخلاف في العقائد والأحكام كالخلاف في فرعيات المجتهدين والحكام .

فإذا كان الخلاف في القطعيات والثوابت والكليات ، كان مذمومًا .

وإذا كان الخلاف في الظنيات والمتغيرات والجزئيات ، كان محمودا .

كما ينظر إلى النية والغاية منه ، هل هو خلاف أملاه الحق أم أملاه الهوى ؟

هل أريد به وجه الله تعالى ، أم قصد من ورائه الانتصار للنفس والتعصب للرأي ؟

إن الاختلاف ما لم يلحق المسلمين ضرر بسببه فلا غبار عليه، بل يكون محمودا ، كما يجب أن يعلم المسلم أن هذا الاختلاف قد يكون ضرورة ، والذين يريدون جمع الناس على رأي واحد في أحكام العبادات والمعاملات ونحوها من فروع الدين ، إنهم يريدون ما لا يمكن وقوعه ، ومحاولتهم رفع الخلاف من هذه الناحية لا تثمر إلا زيادة في توسيع دائرة الخلاف أكثر مما هي عليه ، لأن هذا النوع من الاختلاف أوجبته طبيعة هذا الدين ، كما أوجبته طبيعة اللغة ، وطبيعة البشر ، والكون والحياة ، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية ، فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبائعها .

يجب أن نتعلم أن الخلاف في الفروع أمر واقع ، ما له من دافع .

وأن لله حكمة بالغة حين يجعل من أحكام الشريعة ، القطعي في ثبوته ودلالته ، فلا مجال للخلاف فيه ، وهذا هو القليل ، بل الأقل من القليل .

وجدل منهـا الظنى في ثبوته أو دلالته ، أو فـيهما مـعا ، فهذا مما فيه مجال للاختلاف وهو جل أحكام الشريعة .

وهناك من العلـماء مـن آتاهم الله القـدرة على التـحـقـيق والتمحيص والتـرجيح بين الأقوال المتنازع فـيهـا دون تعصب لمذهب أو قول ، مثل الأئمة : ابن دقيق العيد ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير ، وابن حجر العسقلاني ، والدهلوى، والشوكاني ، والصنعاني ، وغيرهم .

ولكن مـحـاولات هؤلاء من قـبل لم ترفـع الخـلاف ، ومـحاولات غـيرهم من بعـد لم ترفع الخلاف ، ولن ترفعـه لحكمة الله ، التي أشرت إليها من قبل .

وكما يكون هذا الاختلاف ضرورة ، فـهو رحمة بهذه الأمة وتوسعـه عليها ، كـما هو في الأمور المسكوت عنهـا ، أو ما يسمى بمنطقه الفراغ التشريعي .

ونذكر في هـذا المقام قول عـالم المدينة وفقـيهـها من زمن التابعين ، الإمام القاسم بن مـحمد بن أبي بكر ، قال : «لقد نفع الله باختـلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمـالهم ، لا يعمل أحد بعـمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة ، ورأى أن خـيرا

منه قد عمله» .

وقول خامس الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبد العزيز «ما أحب أن أصحاب رسول الله لم يختلفوا لأنه لو كان قولا واحدا كان الناس في ضيق ، وإنهم أئمة يقتدى بهم ، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة» . كما قال في رواية أخرى عنه: «ما وددت أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا ، اختلافهم رحمة» وكيف لا يختلف الصحابة ومن بعدهم ، وقد اختلفوا في حياة الرسول ﷺ نفسه ، وأقر الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه هذا الاختلاف ، دون أن يلوم أحدا من المختلفين، ودون أن يتفرقوا أو تضيق صدورهم بهذا الخلاف ، وما ضرهم ذلك .

وكما أن هذا الخلاف ضرورة ورحمة وتوسعة ، فهو كذلك ثروة دينية عظيمة ، لأن الخلاف بين المجتهدين أمر طبيعي يرجع إلى احتمال النصوص الشرعية ، وكذا اختلاف المدارك والأفهام ، ولمَ لا ؟ وقد اقتضت حكمة الله عز وجل في شرعه أن يكون كثير من نصوص القرآن والسنة محتملة لأكثر من معنى واحد .

إذ أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، واحتمال الألفاظ في اللغة العربية أمر مُسَلَّم به ، معروف في لغة العرب ، كما اقتضت حكمته في خلقه أن يجعلهم متفاوتين في عقولهم ومداركهم ليكمل الكون ، ويبرز ميدان التفاضل والتمايز بالعلم والعقل

فاتساع الخلاف الفقهي أمر طبيعي ، اقتضته طبيعة الحياة العلمية والعملية ، وإن أيسر نظرة في كتب الاختلافات الفقهية من أهل العلم والفهم توضح لصاحبها حقيقة ما أشرت إليه دون خفاء أو اشتباه .

كما يتضح من أسباب الاختلاف بين الفقهاء عظمة وجمال الاجتهاد في الإسلام ، وطريقة استنباط الفقهاء للأحكام سواء كان من الآية أو الحديث ، بطريقة يقف أمامها العالم منبهرا ، أمام فقه الأئمة أو شرحهم للفقه ، ولقد فهم جمهور الأمة من السلف والخلف حقيقة هذه الاختلافات ، ودونوا فيها الكتب الكثيرة الموضحة لشأنها ، والمجلية لحقيقتها ، والتي دفعت الملام عن الأئمة الأعلام ، فيما اختلفوا فيه من أحكام .

لكن من الخطأ ما ظنه بعض العوام من اعتبار الخلاف

العلمي من الخـلاف في الدين ، والتفـرق إلى شيع ومـذاهب الذي ذمه الله ورسوله وتوعد عليه بالعـقاب ، ويستشهدوا على ذلك بالآيات الذامة للخـلاف والمتوعدة عليه بالعـقاب ، وليس ذلك صحيح ، فذلك تحريف للكلم ، وطعن للسلف والخلف.

شتـان شتـان بين الخلاف في العـقيـدة والقطعيـات ، وبين الخلاف في الأحكام الفرعية والظنيـات ، فهذا الأخير لا ضرر منه ولا خطر فـيه ، إذا كـان مبنـيا على اجـتهـاد صحـيح ، وأسباب علـمية ، فهو رحـمة بالأمة ، ومرونة في التشريع ، وسـعة في الفقه ، وتوسيع مجـال استنباط الأحكام . لهذا كان من المعاني الكبيرة التي يجب علينا معـشر الشباب خاصة ، أن نحسن التـفقه فيـها ، أن نعرف مـا يجوز فيه الخـلاف وما لا يجـوز، وأن منطقة مـا يجوز فـيه الخـلاف أوسع بكثيـر مما لا يجوز، وأهم من هذا كله أن نتعلم أدب الخلاف ، كـما سنشير إليـه بـعـد ذلك - إن شـاء الله - وهو أدب ورثناه من أئـمـتنا وعلمائنا الأعـلام ، وعلينا أن نتعلم منهم كيف تتـسع صدورنا لمن يخالـفنا في فروع الدين دون أن نتـفرق ، وكيف تـختلف آراؤنا ولا تختلف قلوبنا ، ونعلم أن اختـلاف وجهات النظر لا

يحسد للو قضية ، وكيف يخالف المسلم أخاه المسلم في رأيه دون أن تمس أخوته ،أو يفقد محبته ، أو احترامه لمخالفته ، دون أن يتهمه في عقله أو في علمه أو دينه .

متى نشأ الخلاف ، ومتى نشأت الفرقة ؟

(أ) نشأة الخلاف: لقد نشأ الخلاف مرتبطا بالأحكام الفقهية في فترة مبكرة مع الدعوة الإسلامية، إذ بدأ يسيرا في زمن النبي ﷺ حيث استغنى الناس بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام مرجع الجميع باتفاق .

فإذا ابتعدوا عن المدينة المنورة وقع بينهم الخلاف ، وإذا كان لا اجتهاد مع نص ، فهناك الاجتهاد في النص ، والاجتهاد حيث لا نص .

ومن أمثلة ذلك : الحديث المشهور في القضية « لا يصلين أحدكم العصر إلا في بنى قريظة »[1] وكيف فهمه أصحاب النبى ﷺ كل من وجهته ، أخذا بظاهر النص ، أو بمفهومه ، وكذا حادثة عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وقد احتلم فلم يستطع الغسل لبرودة الماء فتيمم وصلى بأصحابه وأنكروا عليه ذلك ، وأخبروا النبي ﷺ بالأمر ، فسأله رسول الله ﷺ ، فذكر عمرو له حجته ، وأنه تذكر قول الله تعالى ﴿ولا تقتلوا

(١) رواه البخاري .

أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾[1] فاقره النبي ﷺ»[2] وهذا الذي أجنب وهو مجروح ، فسأل أصحابه ، فأمروه بالغسل ، فاغتسل فمات ، فما أقرهم على ذلك النبي ﷺ إذ أفتوا بغير علم واجتهدوا دون أن يملكوا أدوات الاجتهاد ، فقال : «قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذا لم يعلموا ، فإنما شفاء العي السؤال»[3] .

ثم توسع فى الاجتهاد بعد وفاة الرسول ﷺ ووقع الاختلاف فى أمور كثيرة ، فإنك لا تكاد تجد مسألة اختلافية بين الأئمة المجتهدين إلا والخلاف فيها - على الغالب - راجع إلى زمن الصحابة رضى الله عنهم .

ولعل أول اختلاف جرى بينهم بعد وفاة الرسول ﷺ ، اختلافهم في الأحق بالإمامة الكبرى ، ومن يكون خليفة الرسول ﷺ في أمته ، ثم اختلافهم في دفنه عليه الصلاة والسلام .

ثم توالت الاختلافات فى الأحكام التفصيلية تبعا لأسباب عامة وخاصة .

ومن المسائل التي اختلفوا فيها على سبيل المثال :

---

(١) سورة النساء : ٢٩ .

(٢) رواه البخاري وأبو داود .

(٣) أخرجه أبو داود وسكت عنه وابن ماجة وأحمد .

ــ اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة ، وسبى أهل الردة ، وقسمة الأراضي المفتوحة ، واختلفوا في ميراث الجدة ، وفي خروج المرأة المطلقة من عدتها ، وفي عدة الحامل المتوفي عنها زوجها ، إلى غير ذلك من أمثلة ، تعرف بتفصيلاتها في مجالاتها من كتب الخلاف .

وهكذا توالى الاختلاف في الأحكام في زمن الصحابة رضوان الله عليهم ، حتى امتد إلى تابعيهم ، واتسع نطاقه في زمن التابعين وتابعيهم ، تبعا لكثرة الحوادث الجديدة ، والمسائل المستحدثة التي تحتاج إلى بيان الحكم فيها من جهة ، وتبعا لانتشار الفقه الفرعي من جهة أخرى ، فكان اتساع الاختلاف في الأحكام الفقهية أمرا طبيعيا ، اقتضته طبيعة الحياة العلمية والعملية .

وكل هذا الخلاف الذي وقع لم تكن منه مضرة بالصحابة ولا بالمسلمين من بعدهم ، حتى أخطأ الناس في اتباع أقوال الفقهاء على نوعين :

منهم من نظر إلى أنها أراء شخصية في دين الله تعالى ، تعددت واختلفت .

ومنهم من أنزلها فوق منزلتها بحيث لا يجوز الخروج عنها. والخروج عنها خروج عن الدين ، والحق يقال أن كلا من الإتجاهين مخطىء خطئا جما ،

لأن الذي ينظر إليها نظر تمحيص وامعان يجدها بيانا لأحكام الكتاب والسنة ، كما فهمها الأئمة من الأدلة الشرعية ، وذلك بعد أن بذل كل منهم جهده واستفرغ ما في وسعه في جمع الأدلة وتمحيصها ، فكانت هذه الآراء ثمرات متعددة لشجرة واحدة هي شجرة الكتاب والسنة ، وليست بثمرات لشجرات مختلفات كما يتوهمها البعض .

فجذع الشجرة (الكتاب والسنة) وفروعها (الأدلة الشرعيه والعقلية المتنوعة) وثمارها (الأحكام الفقهية) مهما اختلفت وتنوعت وتعددت . .

ومن هنا كان الفرق شاسعا بين عامة المسلمين الذين يتبعون في دينهم أقوال أئمتهم المستنبطة من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، كما أمرهم الله بقوله ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1] ، وبين أهل الكتاب الذين يتبعون في دينهم

(١) سورة النحل : ٤٣ .

أقوال رهبانهم وأحبارهم الصادرة من تلقاء أنفسهم ، والمخالفة لأمر ربهم ، والذين ندد الله بهم بقوله سبحانه ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾(١) .

وفي الحديث « لما دخل عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ، فقال يارسول الله : ما عبدناهم ، فقال يا عدي : أما كانوا يحلون لكم الحرام فتحلونه ، ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه ؟ قال : بلى ، قال : فتلك إذن»(٢).

فشتان بين السحاب والتراب ، وبين الثريا والثرى ، أو بين مدارج الأفلاك ومسابح الأسماك .

وإذا أنكرنا هذه الوجهة التي اتهمت الفقهاء ورفضت اجتهاداتهم ، فنحن ننكر أيضا الوجهة الأخرى ، تلك التي تعصبت لرأيها ومذهبها ، وأبت الخروج عنه وإن خالف القرآن والسنة ، وترتب على ذلك تقاتل تناحر ، ومنهم من تعبد بأقوال الأئمة ، ووضعوا الأحاديث في مدح أئمتهم وذم الأئمة الآخرين .

---

(١) سورة التوبة : ٣١ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ / ٣٤٨ .

(ب) متى نشأت الفرقة ؟

اعلم أن الفرقة بين المسلمين ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب ، بل لها جذور وأصول بعيدة تمتد إلى القرن الأول الهجري ، وحتى حاضرنا هذا المؤلم .

منذ هجرة النبي ﷺ وصحبه الكرام إلى المدينة المنورة ، وقد أسس دولة الإسلام الفتية ، وقد حرص النبي ﷺ على أن يقيمها على أسس قوية ودعائم متينة ، وصلات صحيحة .

فبدأها بحسن صلة المسلم بربه ، وقد رمز إلى ذلك ببناء المسجد الذي قال الله فيه **﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾**(١) كما جعل السوق بجوار المسجد ليرمز بذلك إلى الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة .

ثم بعد حسن صلة المسلم بربه كانت صلة المسلم بأخيه المسلم ، فكانت المؤاخاة بين الأوس والخزرج ، الذين طحنتهم الحروب وأنهكت قواهم سنين عددا، وكان من ورائها اليهود ، ثم كانت بين المهاجرين والأنصار ، ونعمت الأخوة ، إذ كانت

(١) سورة التوبة : ١٠٨ .

أخوة لم تعرف الدنيا لها مثيلا .

ثم كانت دعامة حسن صلة المسلم بجيرانه من غير المسلمين، فكانت المعاهدات بين النبي ﷺ وبين جيرانه من يهود المدينة .

ومضت دعوة الإسلام تشق طريقها ، وتنشر دعوتها ، وتنتقل من نصر إلى نصر ، ولكن ذلك أحزن اليهود وأجزعهم، وخافوا على دنياهم وسيادتهم ، فكشروا عن أنيابهم ، لا سيما من كان ينتفع منهم ، أو من سيتوج ملكا عليهم «كعبد الله بن أبي بن سلول» ، ثم عادوا فجبنوا ، فتظاهروا بالإسلام وهم يبطنون الكفر ، فظهر النفاق ، يريد هدم ما بناه النبي ﷺ .

وحرص المنافقون أشد ما حرصوا عليه أن يفرقوا كلمة المسلمين، لعلمهم اليقيني أنه لا سبيل إلى سيادتهم هم إلا بتفريق كلمة عدوهم «فرق تسد» كما جربوا ذلك مع الأوس والخزرج من قبل ، فبدأت الجمعية اليهودية السرية ، والتي تدعى «القوة الخفية» والتي كانت ظهرت من قبل مع دعوة المسيح ابن مريم عليه السلام[1] تؤدي دورها ، فقالت كما حكى

(١) راجع مبحث «الماسونية» في كتابنا «تعصب اليهود» .

القرآن الكريم : ﴿**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**﴾[1] .

ثم بنوا مسجدا لأنفسهم ، له مهام معينة حددها القرآن ، تخالف ما جاء الإسلام من أجله ، أو ما بنى الرسول ﷺ مسجده له ، فقال تعالى : ﴿**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا**﴾[2] فحرصوا من خلال هذا المظهر الإسلامي المتمثل في المسجد على تفريق كلمة المؤمنين ، ثم كان حرصهم الأكبر على نقض دعامة الأخوة التي أرساها النبي ﷺ بين المسلمين ، سواء أكان فيما بين الأوس والخزرج ، أو فيما بين المهاجرين والأنصار .

فالبنسبة للأوس والخزرج بعد أن ألف الله بين قلوبهم ، وآخى الإسلام بينهم ، واجتمعت كلمتهم ، مر «شاس بن قيس» - رجل قد أسن في الجاهلية أو اليهودية - على نفر من

---

(١) سورة آل عمران : ٧٢ .

(٢) سورة التوبة : ١٠٧ ، ١٠٨ .

الأوس والخزرج وهم يتحدثون ، ويتمازحون ، فأحزنه ذلك ، وعض على أنيابه ، وغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم ، وقال : لا مكان لليهود إذا اجتمعت كلمة الأوس والخزرج ، أو اجتمعت كلمة المسلمين ، ثم استدعى شابا يهوديا ، وأمره أن يجلس معهم ، ويحرش بينهم، ويذكرهم ما كان بينهم من حروب وضغائن ، وينشدهم من أشعار يوم «بعاث» ففعل الشاب اليهودي الذي استطاع أن يحرك الحمية الجاهلية والضغائن القديمة في نفوسهم ، فتنازعوا وتفاخروا حتى تساب رجلان من الحيين ثم وثبا على الخيل ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رددناها الآن جذعة - شابة فتية - قوية ، يريد عودة الحرب ، وقالوا : قد فعلنا ، ثم تنادوا : السلاح ، السلاح ، وتواعدا على الحرة ، وانتظمت صفوفهم للقتال ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين: الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟!!

فعرف القـوم أنها نزغة من الشيطان ، وكـيد من عدوهم ، فألقـوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعـانق الرجال من الأوس والخزرج بعضـهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسـول ﷺ سامعين مطيعين ، فقـد أطفأ الله كيد عدو الله ، «شـاس بن قيس» وما صنع ، فأنزل الله فيه ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهـيد على مـا تعملون قل يا أهل الكتـاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجـا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾ وأنزل الله عـز وجل في «أوس بـن قـيظي الأوسى» و«جبار بن صـخر الخزرجي» ومن كان مـعهما من قومـهما ، الذين صنعوا مـا صنعوا مما أدخل عليهم «شـاس بن قيس» من أمر الجاهلية ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ إلى قوله تعالى ﴿أولئك لهم عـذاب عظيم﴾(١) فكانت هذه وقـيعـتـهم بين الأوس والخزرج، وحرصهم على تفريق كلمتهم .

---

(١) تفسـيـر ابن جـرير الطبـري جـ٤ ص٢٣ ، ٢٤ ، والسـيـرة النبـوية ، والآيات ٩٨ ـ ١٠٥ .

وأما حرصهم على تفريق كلمة المهاجرين والأنصار ، فقد تولى كبر ذلك « ابن سلول» الذي استغل خلاف مولى من موالي المهاجرين ، يقال له «جهجاه» مع مولي من موالي الأنصار يقال له «سنان» بعد عودة المسلمين من غزوة «بني المصطلق» فاختلفا على الماء ، حتى نادى الأول قائلا : يا للمهاجرين ، ونادى الثاني : يا للأنصار ، واجتمعوا عند الماء وأوشك أن ينشب بينهم قتال ، حتى قال لهم النبي ﷺ : «دعوها فإنها منتنة» يريد النبي ﷺ أن دعوا هذه الكلمة التي تفرق جمعكم ، لأنها من العصبية البغيضة ، والحمية الجاهلية المنتنة ، حتى حسم الخلاف بينهم ، ولكن ذلك أغضب «ابن سلول» الذي أراد أن يشعلها نارا ،ثم قال قولته المنكرة ـ لأهل المدينة : نحن الذين آويناهم وأطعمناهم ، فلو منعتموهم النفقة ما كان هذا حالهم ، حتى صار ينطبق علينا المثل : جَوِّع كلبك يَتْبَعْك ، سَمِّنْ كلبك يأكُلْك ، «والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فأبى عليه ابنه أن يدخل المدينة إلا أن يأذن له النبي ﷺ ليعلم من الأعز ومن الأذل ؟ فأذن له النبي ﷺ وقد نزلت فيه ومن معه سورة «المنافقون»[1] .

(١) انظر ابن كثير .

وابن سلول هذا هو الذي بذر الخلافات ، وأثار الشائعات .

فهو الذي رجع بثلث الجيش في غزوة أحد ، بعد أن قطع شوطا مع النبي ﷺ وأصحابه ، وهو الذي أرسل إلى يهود «بني النضير» يدعوهم إلى المكث في المدينة ، وأنه ومن معه سيكونون في نصرتهم، وقال الله تعالى فيهم **﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾**[1] وهو الذي اختلق حديث الإفك ، يتهم أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها ، مع «صفوان بن المعطل» رضي الله عنه ، وأثار الشائعة ، وأخذ يرددها ، لا يتوانى في ذلك ، يريد بذر الخلاف بين المسلمين ، حتى صارت ألسنة مسلمة تلوكها وترددها ، وبسبب ذلك أحدث فتنة أخرى بين الأوس والخزرج ، كان من الممكن أن تأتي عليهم ، لوما أن الله أكرمهم برسوله ﷺ الذي هدأ ثورتهم وأسكتهم ومنعهم ، وأظهر الله عز وجل الحقيقة ، وأنزل براءة عائشة الصديقة، في

(١) سورة الحشر : ١١ ، ١٢ .

الآيات ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** - الآيات﴾[1] والمعنى بالذي تولى كبره هو «ابن سلول - عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[2] وهكذا ظل دور المنافقين ينشط في تفريق كلمة المسلمين ، وتثبيطهم عن الجهاد ، وإيجاد بذور الضغائن والعناد، وزرع وسائل الفتنة والفساد ، ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد، يكشف فضائحهم ، ويفضح سرائرهم ، ويظهر مؤامراتهم ، ومكنون أسرارهم ، حتى أيقنوا بالفشل الذريع، وصاروا ما بين أسير وصريع ، أو أجلوا عن المدينة بعد خوف مريع ، وظمأ وجوع .

كل ذلك مع نقضهم العهود ، وحقدهم اللدود ، وتنفيذهم أحكام التلمود ، وهم الذين هموا بقتل الرسول ﷺ مرات ومرات ، مع تدبير المؤامرات ، وإقامة المؤتمرات ، وتعاونوا مع المشركين والأحزاب ، وأرادوا أن يستأصلوا شأفة المسلمين في تلك المرة ، ولكن الله هزم الأحزاب وحده ، وأعز جنده ،

(١) سورة النور : ١١ - ٢٠

(٢) حادثة الإفك روتها كتب السنة بطولها ، فراجعها لمعرفة المزيد .

محمداً وصحبه ، وبقى الدور على عدوه ، فسلط عليهم المسلمين في غزوة بنى قريظة حتى ، حكم فيهم «سعد بن معاذ» بحكم الله الذي لا مرد له .

وعلمنا أنه إذا تركت الحيات لدغها ، والكلاب نباحها ، والحمر نهيقها ما، ترك اليهود نقضهم للعهود .

هذا وتاريخ اليهود والمنافقين مع الإسلام والمسلمين أسود من الليل والطين ، ودورهم في تفريق كلمة المسلمين ، لم يكد يهدأ حتى يثور ، أو ينتهي حتى يبدأ ، فلئن هدأوا بعض الوقت لفضح القرآن لهم ، فإنهم اختبئوا يخططون ويدبرون ، فلما انقطع الوحي من السماء بموت النبي ﷺ ، خرجت الأفاعي من جحورها ، لتزاول دورها ، وهي بمأمن من فضيحة وحي السماء ، فأدوا دورا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أوشك أن يقلب الأمور رأسا على عقب ، ويضيع كل الجهود ، إذ وقعت الردة ، وظهر المتنبئون الكذابون ، ووجد مانعو الزكاة ، واليد الخفية تعمل هنا وهناك ، تؤجج نار الفتنة وتشعل نيران الحروب ، ولو لم يكن هذا الدين هو دين الله الحق ، لكان في هذه الفتنة نهايته ، أو لقى حتفه ، ولكن

كـيف ذلك وهو دين الله ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[1] وقيض الله لهذه الفتنة «أبا بكر الصديق» الذي قضى عليها في عهدها ، وتتبع فلولها ، وأعاد الأمر إلى نصابه ، كما جيَّش الجيوش ، وأتم بعث رسول الله ﷺ ، وانتشرت الفتوحات ، وانتشر الإسلام في ربوع الأرض .

ثم هدأت الفتنة بعض الوقت في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأسباب منها الخوف من بطش عمر الذي عرف بشدته على المنافقين أيام رسول الله ﷺ .

والسبب الثاني : أنهم راحوا ينظمون صفوفهم ، ويعيدون حساباتهم بعد قاصمة الظهر التي نالتهم على يد أبي بكر رضي الله عنه .

والسبب الثالث والأهم هو اجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لليهود - أهل النفاق - من جزيرة العرب ، تنفيذا

(١) سورة الصف : ٨ ، ٩ .

لحديث النبي ﷺ «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان»[1] فابتعد شرهم عن جزيرة العرب ومقر الخلافة الراشدة ، ولكن من بعيد خططوا للقضاء على فاروق الأمة «عمر بن الخطاب» ثم وقعت مؤامرة بين قوى الشر العالمية من صهيونية وصليبية ومجوسية ونفذها «أبو لؤلؤة المجوس» وتمت المؤامرة وانكسر باب الفتنة بمقتل «عمر بن الخطاب» شهيدا في المحراب .

فأطلت الفتنة برأسها من جديد ، لتعمل بكل قواها ، وفي كل اتجاه علمي أو عملي ، ديني أو سياسي ، والذي تولى كبرها في هذه المرة هو «عبد الله بن سبأ» المعروف بابن السوداء، سَوَّد الله وجهه ، الذي تظاهر بالإسلام ، وبحبه لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، فراح يقول بوصاية «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه ، أي أنه وصى رسول الله ﷺ وأولى الناس بعده بالخلافة ، ثم أخذ يذم «أبا بكر وعمر» رضي الله عنهما ، ثم قال بمبدأ الرجعة ، يزعم أن النبي ﷺ سيرجع حيا في الناس ، ويوبخهم على عدم تولية «على» الخلافة ، ويقول : عجبت لمن يقول برجعة عيسى ، ولا يقول برجعة محمد ﷺ .

---

(١) رواه أبو داود ، وسكت عنه، بنحوه ، وأحمد ، وفي مسلم بنحوه أيضا.

ثم الأدهى من ذلك ما افتراه على سيدنا عثمان رضى الله عنه من افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان ، وأشاع ذلك فى الناس ، وانتقل فى الأقطار والأمصار ، يؤلب الناس على عثمان رضى الله عنه ، فلقى آذانًا استمعت له ، ورعاعا صاروا جندا له ، وخرج الثوار من الأمصار ، واجتمعوا حول بيت «عثمان» رضى الله عنه ، وما انفضوا حتى قتلوا الخليفة الراشد «عثمان بن عفان» الذى كان صائمًا ، وهو يقرأ القرآن .

ثم بايع الناس «عليـا بن أبى طالب» رضى الله عنه على الخلافة ، ثم ماذا ؟ فهل هدأت الفتنة ، وهل استراح ابن السوداء ؟ كلا.

بل راح على رأس المنافقين يؤجج نار الفتنة مرة أخرى ، يطالب عليا بالقصاص من قتلة عثمان ـ وهم قتلة عثمان ـ وأرسل بمن يقنع معاوية بذلك ويمنعه من بيعة على حتى يأخذ بالقصاص من قتلة عثمان ، وكذا طلحة والزبير ، وأم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنهم أجمعين .

وخرج الزبير وطلحة وعائشة على «على رضى الله عنه» يطالبونه بقتلة عثمان ، فطلب أن يبايعوه حتى يستطيع أن

يقبض على قتلة عثمان ، وطلبوا أن يتصالحوا معه ، فقرر «على» الخروج فى ذلك اليوم ليعقد معهم الصلح ، ولما علم «السبئيون» ذلك عزموا أن يوقعوا بين المسلمين فتنته حتى لا يتمكنوا من الصلح فيما بينهم ، وأمر «على جيشه أن يثبتوا فى مواقعهم .

وكان حيلة السبئين أن مشوا فى الليل حتى وصلوا إلى جيش عائشة ، وبدأوا بالحرب بغلس من الليل ، وانسلوا لانشاب الحرب انسلالا .

فخرج طلحة والزبير فقالا : ما هذا ؟ قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ، وقال على لما رأى القتال : ما هذا ؟ لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء .

وبدأ القتال بين الجيشين فى مكان يسمى «ذى القارا» - مكان قريب من الكوفة - ونظر «على» رضى الله عنه فإذا بالقتل يشتد بالمسلمين ، فحزن حزنًا شديدًا ، ونادى على بطلحة وسأله ماذا يقول لرسول الله ﷺ إذا قال له : لماذا أخرجت زوجتى ، أدرك طلحة أن هذا العمل غير مشروع ، وخرج من المه ... تله واحد من أهل الفتنة ، والتقى بالزبير فى

أرض المعركة ، وأخبره بأنه ظالم ، وترك الزبير المعركة ، ولكن أحد قتلة عثمان لحقه حتى قتله ، وكثر القتل بين الجانبين. وحاولت عائشة رضى الله عنها ايقاف الحرب ، ولكن السبيئيين أثاروا الحرب على عائشة وأرادوا قتلها أيضًا ، ولما علم «علي» بالخطة أرسل أربعين فارسًا من جنده ليعقروا الجمل ويحرصوا على «عائشة رضى الله عنها» حتى لا يصل أحد إليها بالإيذاء ، وعندما عقروا الجمل وسقط الهودج وتفرق الناس انتهت المعركة ، ونقلت عائشة إلى بيت أمير المؤمنين مع أربعين جنديًا من جيشه ، وخرج يودعها وأرسل معها أخاها «محمد بن أبى بكر» حتى وصلت دارها فى مكة وعرفت هذه المعركة باسم «معركة الجمل» .

وأما «معركة صفين» والتي كان سببها أن «معاوية بن أبى سفيان» رضى الله عنه ، رفض أن يبايع عليا رضى الله عنه بحجة أنه آوى قتلة عثمان ، وأنه لا يبايع إلا أن يسلم إليه قتلة عثمان ، فقال له علي رضى الله عنه : بايع أولاً ، ثم بعد أن يستبين الأمر أعطيك إياهم ، ولكن معاوية ثبت على موقفه ، وخرج «علي» بجيشه ، و«معاوية» بجيشه ، ودارت بينهما

رسائل كثيرة تدعو إلى الصلح والمهادنة ، واقترعوا كذلك ، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل بسبب فتنة السبئيين بينهما ، حتى وقع القتال بين الجانبين فى مكان يسمى «صفين» ، وخسر المسلمون الكثير من الأرواح فى هذه المعركة .

هذا هو ما صح عندنا ، ويمكن أن نثق فيه ، ويجب أن يُعلم أن ما جاء فى حرب صفين من مغالطات ومبالغات ، قد ورد عن طريق أبى مخنف الشيعى ، الذى قال عنه الحافظ الذهبى : أبو مخنف ، اخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره ، وقال فيه ابن عدى : شيعى محترف صاحب أخبارهم .

كما يجب أن يعلم أيضًا أن المعركة لم تكن بسبب الخلاف على الدنيا ، والرغبة فى مطامعها ، ولكن القضية كانت قضية عقيدة ومبدأ يجب أن يسود .

«فعلي» يعلم أنه لا يجوز أن يكون خليفتان فى وقت واحد، وفى الحديث «إذا بويع لخليفتين فاضربوا عنق الآخر» [1] وأما «معاوية» فكما قال : والله إنى لأعلم أنه خير منى ،

---

(١) أخرجه مسلم .

وأفـضل ، وأحـق بالأمـر منى ، ولكـن ألـستم تعـلمـون أن «عثـمان» قُتِلَ مظلومًا؟ وأنا ابن عمه أطلب بدمـه وأمره إلىّ ، فقولوا له : فليـسلم إلىّ قتلة عثمان وأنا أسلم له أمره .

فـأتوا عليـا فكلمـوه فى ذلك ، فلم يدفع إليـهم أحـدا ، فعندئذٍ صمـم أهل الشام على القتال مع معـاوية ولم يقتنع أى من الفريقين بوجهة نظر الآخر ، فـضلاً عن تدخل قتلة عثمان الذين أغـاروا على جيش مـعـاوية رضى الله عنه ، على حين غفلة منهم ليلاً ، ووقعت الحرب فى صفين كـما وقعت معركة الجمل ، واحتـدمت واستمرت أسـبوعًا - من يوم الأربعاء أول صفر سنة ٣٧ هـ واستمرت حتى يوم الثلاثاء - دون أن يظهر أحد من الفريقين على الآخر ، فقد كانا متكافئين ، وفى اليوم الثامن تم فـيه احراز النصر من أهل العـراق على أهل الشام ، واستمر القـتال عنيفا حتى يوم الجمـعة ، ولم يكن الفرار ممكنا من أى من الطرفين ، لأن كل طرف واثق بحـقه ، واستـمرار القتال يعنـى فناء المسلمين جميعًا ، وهذه غـاية أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين الذين أثاروا الفتنة أولاً ، وأوقعوا الخلاف، وأججـوا نار الحـرب وزكـوها أيامًا عـديدة ، وأرادوها سنين مديدة.

ولكن بعد قتال استمر عشرة أيام ، نبتت فكرة التحكيم ، التي كانت هي الأخرى وبالا على المسلمين ، وما ورد بخصوص قضية التحكيم فجل الروايات التي وردت فيها غير صحيحة ، لأنها من رواية أبي مخنف الشيعي ، وليس بين أيدينا رواية واحدة نطمئن إليها يكون كل رواتها ثقات ، ويجب أن ندع روايات أبي مخنف جانبا فهي تحمل في ثناياها أقبح الصور عن الخلاف والتحكيم .

ومن ذلك الصورة الثابتة في أذهان الناس ، فالمعروف لدى عامة الناس أن «عمرو بن العاص» غدر بأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، وقدمه للكلام بعد أن اتفقا على خلع معاوية وعلى رضي الله عنهما ، وخلع أبو موسى معاوية وعليا ، بينما تقدم «عمرو» بعده فخلع عليا ، وأثبت معاوية .

وكذلك ما ذكر من لعن على لمعاوية وعمرو ، وغيرهما من أهل الشام ، وأن معاوية كان يلعن عليا وابن عباس والأشتر والحسن والحسين !!

وكذلك الرواية التي تشير إلى أن عمراً بن العاص قد دعا

إلى المصاحف خدعة يخدع بها المؤمنين ، وأن عليا حرهم من ذلك ، فهي رواية مكذوبة أيضا .

وأصح ما ورد في ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : أتيت أبا وائل مسجد أهله ، أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على بالنهروان ، فيما استجابوا له ، وفيما فارقوه، وفيما استحل قتالهم ؟ فقل: كنا بصفين ، فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية ، أرسل إلى علي بمصحف فادعه إلى كتاب الله ، فإنه لن يأبى عليك ، فجاء به رجل ، فقال : بيننا وبينكم كتاب الله ، ثم قرأ الآية ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ [1] فقال علي : نعم أنا أولى بذلك ، بيننا وبينكم كتاب الله .

وقال الطبرى فى تاريخه : حدثنى عبد الله بن أحمد . .إلى أن قال : قال صعصعة بن صوصان ـ بصفين ـ حين رأى الناس يتبارون : ألا اسمعوا واعقلوا ، تعلمن والله لئن ظهر «علي» ليكونن مثل أبى بكر وعمر ، وإن ظهر معاوية لا يقر لقائل

(١) سورة آل عمران : ٢٣

بقول حق .

قال الزهرى : فاصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم ودعوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراق ، فعند ذلك حكموا الحكمين فاختار أهل العراق «أبا موسى الأشعرى» ، واختار أهل الشام عمرو بن العاص ، فتفرق أهل صفين حين حكَّم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ويخفضا ما خفض ، وأن يختارا لأمة محمد عليه الصلاة والسلام .

وعند التحكيم حاول «أبو موسى» اقناع عمرو بولاية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فابى عليه ذلك ، وكانت محاولات عمرو بن العاص فى اقناع أبى موسى بولاية معاوية ، فأبى عليه ذلك ، ثم بولاية «عبد الله بن عمرو بن العاص» فأبى عليه ذلك ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ، ثم يجعلا الأمر شورى بين المسلمين ، وأن يكون الأمر فيمن توفى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو راض عنهم .

فهذه النقاط الثابتة فى موضوع التحكيم والذى يتبع الأمر هو عدم اتفاقهما على وال معين يجتمعان عليه ، فكانت النتائج

سلبية ، وبقيت الأمور على ما هي عليه بدون اتفاق [1] .

وأخطر من ذلك كله ما وقع من فتن بعد التحكيم حيث انبثقت الفرق الضالة ، وتوالت تترى لتنهك الجسد الإسلامى والأمة المسلمة بعد أن أنهكتها تلك الحروب الطاحنة ، فكانت فتنة الخوارج وما انبثق عنها من فرق ضالة ، وما ترتب عليها من حروب وويلات ، وكيف نشأت الرافضة أو الشيعة بطوائفها - كرد فعل لما ذهب إليه الخوارج .

كما وجدت المرجئة ، وكذا القدرية تقابلها الجبرية أو الجهمية ، وصاروا طوائف شتى ، ووجدت المعتزلة ، كما وجدت المشبهة ، والمعطلة ، والمؤلة ، وهذا فى الأسماء والصفات ، وكذلك وجدت الجماعة التى اعتزلت الناس وترتب عليهم وجود المتصوفة ، واندس فيهم الفلاسفة ، وأهل الضلال السوفسطائيين ، ووجدت الباطنية أو الاسماعيلية ، أو

---

(١) استطردت فى هذه الجزئية لتصحيح الأخطاء الشائعة بين الناس .
وراجع فيها بتوسع : البداية والنهاية لابن كثير ، والتاريخ الكبير للطبرى ، والعواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى وإعلام المسلمين للغضبان ، وعوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامى د / شوقى أبو خليل والخلفاء الراشدون والدولة الأموية د / محمد الطيب النجار ، ومحمد زيتون .

القرامطة ، وغـيرهم ممن تظاهروا بالإسلام ، كمـا وُجدت بعد ذلك البابية ، والبهائية والقاديانية ، وحتى رأينا فى عصرنا هذا من يزعم أنه مسلم وفى ذات الوقت هو شيـوعى ، أو ماسونى أو علمـانى ، أو من أهل الحداثـة والتغـريب ، أو نصيـرى أو بعثى أو نحو ذلك .فيا عجبا : كيف انطوى هؤلاء جميعا تحت ثوب الإسلام ، والإسلام منهم براء ، وجمـيعهم قد طبخ فى مطابخ اليهـود والمنافقين ، وقد عـجنوا بعجين الفـتنة والبغض للإسلام والمسلمين ، وانصـهروا بنيران الحروب التى أجـجوها وأشعلوها على مر القرون ، ومضت الفرقة فى طريقها ، تحصد الأخضر واليابس ، حتى لا تقوم للإسلام قائمة ، يزكى أوارها ويوقد نارها أعداء الإسلام من المنتـسبين إليه ، الحريصين على دنيـاهم وأطمـاعـهم ، أو من الخارجـين عنه ، الذين يريدون القضاء عليـه بكل صورة من الصور ، أو شكل من الأشكال ، لقد تفرقت كلمة الأمويين حـتى زالت دولتهم ، وتفرقت كلمة العباسيين حتى زال سلطانهم ، وتفـرقت كلمة المسلمين فهزموا أمام الصليبين ، وحرصوا على الـدنيا فضاعت الأندلس ورتعوا فى الشهوات ففعل بهم التتار الأفاعيل ، وناموا على أنفسهم ، وهجروا قرآنهم فاحتل الكفار ديارهم ونهبوا خيراتهم ، وسلبوا

مقدساتهم ، وانتهكوا أعراضهم ، واغتصبوا أرضهم ، وسلبوهم حقوقهم ، ولم يقيموا وزنا لهم

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأذنون وهم شهود

ولا يزال المسلسل الدامى مستمرًا ، ولا تزال الفرقة تعصف بالمسلمين فاعجب ، يا قومى « أليس منكم رجل رشيد »[1]؟!!

ما هي أسباب الخلاف ، وما هي أسباب الفرقة ؟

أولاً : أسباب الخلاف :

بادىء ذى بدء يجب أن يُعلم أن الخلاف ارتبط بالاحكام الفقهية والأمور الفرعية كما أسلفنا ، ويجب أن يعلم أيضًا أنه ليس لأحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عامًا مخالفة رسول الله ﷺ فى شىء من سنته دقيق ولا جليل ، فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًا على وجوب اتباع الرسول ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

ولكن إذا وجد لواحد منهم قول ، قد جاء حديث صحيح

(١) سورة هود : ٧٨

بخلافه فلابد له من عذر فى تركه ، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف : أحدها : عدم اعتقاده أن النبى ﷺ قاله ، والثانى : عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول ، والثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ .

وهذه الأصناف الثلاثة تفرعت منها أسباب متعددة أدت إلى الخلاف بين الفقهاء ، تمثل ذلك فيما يلى :

١ ـ وصول النص أو عدم وصوله : بأن يصل النص إلى إمام ولا يصل إلى غيره ، أو وصله ونسيه .

٢ ـ ثبوت النص أو عدم ثبوته : أى ثبوته عند هذا ، وعدم ثبوته عند غيره ، وذلك يرجع إلى طرق الحديث ، والنظر فى المتن أو فى السند ، والاختلاف فى توثيق الرجال وتضعيفهم ، فمن لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون عالما بموجبه ، وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفا لبعض الأحاديث ، فإن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة .

٣ ـ الاختلاف فى فهم النص الثابت لأسباب منها نوعية النص ككونه مشتركًا لفظه بين معانى كثيرة ، أو مجملا لم يبين

معناه ، أو اختلف فيه هل هو على سبيل الحقيقة أو المجاز ، أو كان لفظ الحديث غريبًا عنده ، أو لكون الدلالة من النص خفية ، أو ليست صحيحة ، أو عارضها ما دل على أنها ليست مرادة وقد يعود ذلك الاختلاف إلى المجتهد نفسه ، وإلى طبيعة فهمه ، وهذا أكثر وضوحًا من سابقه .

٤ ـ الاختلاف فى طرق الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة ، أو ظاهرها يوهم التعارض ، فيحصل الاختلاف بسبب من يجمع ، وآخر يرجح ، وقد يكون الترجيح لسبب يعود إلى سند النص أومتنه أو مدلوله ، كمن يرجح النهى على الأمر ، والتحريم على الإباحة ، أو يعود إلى أمر خارج عن النصوص المتعارضة ، كان يكون أحدهما موافقًا لدليل آخر ، والآخر لا يؤيده شيء .

وباب الجمع والترجيح باب دقيق يتجلى فيه تفاوت الأفهام وعمق الأنظار ، إذ قد يهتدى فيه المجتهد إلى مأخذ لم يلحظه غيره ،أو يقتنع بوجهة لا يوافقه عليها الآخرون .

٥ ـ الاختلاف فى القواعد الأصولية ، وبعض مصادر الاستنباط ، فلكل إمام قواعد وشروط فى قبول الحديث أو

رده، ولكن وجهته ومنهجه فى الاستنباط ، وهناك من ينظر إلى فعل الصحابى مثلاً أو فتواه ، نظرته إلى النصوص الشرعية فيعتبرها حجة قوية ، وهناك من يخالفه فى ذلك .

وهناك من يعتبر عمل أهل المدينة حجة شرعية يقدمها على غيرها من النصوص، والخلاف فى حجية مفهوم المخالفة ، والمصالح المرسلة ، وحمل النص العام على النص الخاص ، وحمل المطلق على المقيد عند التعارض .

وهناك من ينظر إلي عمل الراوى بخلاف ما رواه ، نظرة يخالفه فيها الآخرون ، وهناك من يرى أن مقتضى النهى الفساد، ويخالفه فى ذلك غيره ، إلى غير ذلك مما هو مبسوط فى محله من كتب الأصول .

أدب الخلاف :

فهذه الأسباب التى ذكرتها مختصرة وظاهرة فى اختلاف الفقهاء فيما بينهم ، وفى كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة فى ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها ، فإن مدارك العلم واسعة ، ولم نطلع على جميع ما فى بواطن العلماء ، والعالم قد يبدى حجته وقد لا يبديها ، وإذا أبداها

فقد تبلغنا وقد لا تبلغ ، وإذا بلغتنا فقد ندرك موضع احتجاجه وقد لا ندركه سواء كانت الحجة صوابًا في نفس الأمر أم لا .

لكن .حن وإن جوزنا هـذا فلا يجوز لنا أن نعـدل عن قول ظهرت حجته بحديث صـحيح وافقه طائفة من أهل العلم إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكـون معه ما يدفع به هذه الحجة وإن كان أعلم ، إذ تطرق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية ، فإن الأدلة الشرعـية حجة الله على عباده بخلاف رأى العالـم ، والدليل الشرعى يمتنع أن يكون خطأ إذا لم يعارضه دليل آخر ، ورأى العالم ليس كذلك ، قال تعالى: ﴿ فإن تنازعتم فـى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾ وليس لأحد أن يعارض الحديث عن النبى ﷺ بقـول أحد من الناس ، كما قال ابن عبـاس رضى الله عنهما لرجل سأله عن مسـألة فأجابه فيـها بحـديث ، فقـال له : قال أبو بكر وعـمر ، فـقال ابن عباس: يـوشك أن تنزل عليكم حجارة من السمـاء ، أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر » .

وأقف مع هذا النص وقفة أصـحح مفهومة خاطئـة : فهذا النص وأمـثاله يحـتج به علي العـوام الذين يتـبعـون المذاهب

ويقولون : قال أبو حنيفة ، وقال مالك ، فأقول : ما يعمله هؤلاء من تصوير العامى المقلد لإمام من الأئمة المعتبرين ، تاركا الكتاب والسنة وآخذا بأقوال الرجال ، فيوردون عليه نصا ظنى الدلالة يخالف ظاهره مذهب هذا العامى فيتمسك العامى بمذهب إمامه لأنه ليس أهلا لفهم النص ، فيجعلونه بذلك معرضا عن النصوص الشرعية ومتعبدا بأقوال الرجال ، وربما كفروه ، ولو أنصفوا لجعلوه معرضا عن فهمهم للنص الشرعى إلى فهم إمامه لهذا النص فتكون المقابلة بين فهمين ، لابين نص وقول رجل كما يصورون ، فيهون الأمر عليهم ، وتظهر الحقيقة لهم .

هذا والناس أصناف ثلاثة : «عالم» ليس له أن يتبع مذهبا ، بل عليه أن يوازن بين الأدلة ، وأن يعمل بما ترجح لديه حسب قدرته وامكاناته .

و«طالب علم» لـه أن يتمذهب بمذهب ، لأنه ليس أهلا للجمع بين النصوص أو الترجيح ،

و«عامى» مذهبه مذهب من يفتيه ، لأنه ليس من أهل النظر، ولم يتعلم مذهبا .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الخلاف بين الفقهاء من جنس

الخلاف الممدوح ما لم يؤدِ إلى فرقة ، لأنه اختلاف فى الأحكام الفرعية العملية والظنية ، التى هى مجال الاجتهاد وتقبل تعدد الأفهام والتفسيرات ، بخلاف الأحكام المتعلقة بالعقيدة ، والتى لا يغنى فيها إلا القطع واليقين .

وهذا الخلاف - كما ذكرنا - لا ضرر فيه ولا خطر منه ، إذا كان مبنيًا على اجتهاد شرعى صحيح ، وإن أكثر صور الاختلاف بين الفقهاء ، لاسيما فى المسائل التى ظهر فيها أقوال الصحابة فى الجانبين ، لأنها ورد لها أكثر من صورة أو هيئة فى سنة النبى ﷺ للتشريع ، فكان الخلاف فى ترجيح أحد القولين، كما كان السلف لا يختلفون فى أصل المشروعية ، وإنما كان خلافهم فى أولى الأمرين ، إنه نظير اختلاف القراء فى وجوه القراءات ، فمن الذى يزعم أن قراءة من القراءات السبع أصح من قراءة أو أولى .

لقد رأينا من أدب الخلاف عند الفقهاء أن أئمة المذاهب إذا لم يتضح لاحدهم الحكم فى المسألة جليا ، قال : هذا أحوط، وهذا هو المختار ، وهذا أحب إلىّ ، وفى المقابل يقول : لا يعجبنى ، أو لا أراه ، أو ما بلغنا أو نحو ذلك .

إن الخلاف لم يقع بين المذاهب فحسب ، بل وقع داخل المذهب الواحد من المذاهب المتبوعة ، كما يقع بين الأستاذ وتلامذته ، أو بين المتقدمين والمتأخرين ، بل إنه يقع الخلاف من الإمام نفسه ، كما وقع من الشافعى الذى كان له مذهبان ، يعرفان بالقديم والجديد ، وحدث مع الإمام أحمد بن حنبل - وهو صاحب المذهب الذى قام على اتباع الأثر ، ولم يخرج عن القرآن والسنة ، ومع ذلك فقد اتسع للعديد من الروايات والأقوال بحيث ملأت كتابا من اثنى عشر مجلدًا هو كتاب «الانصاف فى الراجح من الخلاف» .

ومن أدب الخلاف نعلم أن أئمتنا قد اجتهدوا ، بعد أن ملكوا أدوات الاجتهاد ، والمجتهد إما مأجور ، أو على الأقل معذور مغفور له خطؤه ، لأنه متأول لا يتعمد الخطأ ، وقد قال ربنا: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ (١) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥

فالمجتهد لا يأثم ، وإن لم يستند إلى دليل شرعى ، فمن لم يبلغه الحديث فى المسألة ، واستند إلى دليل شرعى أولى أن يكون معذورًا ، بل يكون مأجورًا محمودًا لأجل اجتهاده .

وقد قال تعالى : ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ (١) . فاختص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم .

وفى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» فتبين أن المجتهد مع خطئه له أجر وذلك لأجل اجتهاده ، وخطؤه مغفور له ، لأن إدراك الصواب فى جميع أعيان الأحكام ، إما متعذر أو متعسر ، وقد قال تعالى : ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾ (٢) ، كما قال : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (٣) هذا ،

(١) سورة الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩

(٢) سورة الحج : ٧٨

(٣) سورة البقرة : ١٨٥

وليس اجتهاد زيد بأولى من اجتهـاد عمرو ، ولا اجتهاد مالك يبطل اجتهاد أبى حنيفة ، وهكذا وليس هذا معناه أن نقبل كلام الفـقيـه على كل حال ، أو أن نـتعـصب له باسم الأدب معـه ورحم الله أئمـتنا إذ بينـوا لنا هذا الادب بأجـمل مـا يكون ، وأوضح ما يجب ، فهذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبى .

وهذا الإمام مـالك رحمـه الله يقول : إنما أنا بشـر أخطىء وأصـيب ، فانظروا فى رأيى ، فكـل ما وافق الكتـاب والسنة فخذوه ، ومـا لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه ، كـما قال : كل إنسان يؤخذ من قـوله ويترك إلا صاحب هذا المقام . وأشار إلى قبر النبى ﷺ .

وهذا الإمام الشافعى رحمه الله يقول : إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسـول الله ﷺ فقولوا بسنة رسـول الله ﷺ ودعوا ما قلت .

وهذا الإمـام أحـمد بن حنـبل رحمـه الله قـال أيضًا : لا تقلدونـى ولا تقلدوا مـالكـا ولا الشـافـعـى ولا الثـورى ولا الأوزاعى ، وخذوا من حيث أخذوا .

ورحم الله الأئمة إذ خالف بعضهم بعضًا ، ومع ذلك فقد كانوا فى قمة الأدب والكمال ، فهذا الشافعى يقول عن أبى حنيفة . «رحم الله أبا حنيفة ، الفقهاء عيال على أبى حنيفة» وهذا أحمد بن حنبل يقول عن الشافعى:

كان كالشمس للدنيا ، والعافية للبدن فهل ترى عن هذين من عوض أو لهما من خلف وكان يقول لابنه : يا بنى لا يعرف الفضل إلا ذووه ، ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال .

لقد كان القرآن الكريم يتولى - أحيانًا - التنبيه على «أدب الخلاف» أو «الاختلاف» حين يقع من الصحابة رضى الله عنهم، لما اختلف أبو بكر مع عمر ، فارتفعت أصواتهما ، نزلت الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ [1] .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحاولون ألا يختلفوا ما أمكن ، فلم يكونوا يكثرون من المسائل والتفريعات مع سرعة

(١) سورة الحجرات : ٢

خضوعهم والتزامهم بحكم الله ورسوله ، والتزامهم بالتقوى وتجنب الهوى ، والتزامهم بآداب الإسلام ، وقد اختلف الصحابة فيما بينهم في مسائل فقهية ، وما نقص من حب أحدهما لصاحبه . وما أضعف من تقدير مودة أى منهما للآخر ، ولا يغمط أحدهما حق أخيه ، فكانت الأخوة الإسلامية هى أصل الأصول .

لقد كان فى الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ومن بعدهم من يختلف مع الآخر فى مسائل كثيرة فى الصلاة . كقراءة البسملة أو تركها ، والجهر بها أو الاسرار ، والقنوت في الفجر ، وحكم الرعاف والقيء والحجامة هل منها وضوء أم لا ، ومس المرأة وأكل لحم الإبل ، أو ما مسته النار مسًا مباشرًا ، فهل من ذلك الوضوء أم لا ؟ .

ومع اختلافهم فإن هذا كله لا يمنع من أن يصلى بعضهم خلف بعض ، كما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعى وأئمة آخرون يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وغيرهم ، ولو لم يلتزموا بقراءة البسملة سرًا ولا جهرًا ، وصلى الرشيد إمامًا وقد

احتجم ، فصلى الإمام «أبو يوسف» خلفه ولم يعد الصلاة مع أن الحجامة عنده تنقض الوضوء . . . إلخ .

والكلام فى هذا المجال شرحه يطول ، يرجع إليه فى محاله وكتبه [1] .

* * *

(١) راجع بتوسع : شبهات التكفير ، للدكتور عمر عبد العزيز .
الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، للدكتور القرضاوى .
الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، للدكتور القرضاوى .
ادب الانصاف فى بيان أسباب الخلاف للشيخ أحمد عبد الرحيم الدهلوى .
رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .
دراسات فى الاختلافات الفقهية ، حقيقتها ونشأتها وأسبابها ، د / محمد أبو الفتح البيانونى .
جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

ثانياً : أسباب الفرقة :

وذكرنا لأسباب الفرقة يختلف عن أسباب الخلاف ، وذكر أسباب الفرقة من باب تشخيص الداء لمعرفة الدواء .

وهذه الفرقة لها جذورها القديمة ، كما رأيت مع نشأة الفرقة فى حين أن قامت للإسلام دولة واستمرت الفتن وازدادت وساعد على ازديادها تلك الظروف التى يمر بها العالم الإسلامى . وهذه الفرقة ليست وليدة سبب واحد ، بل هى وليدة أسباب متعددة متنوعة ، وليس من الإنصاف للحقائق أن نركز على سبب واحد ، ونغض الطرف عن الأسباب الأخرى، أو أن نركز على جهة معينة ونغض الطرف عما سواها .

فالأسباب متشابكة ومتداخلة ، وكلها تعمل بأقدار متفاوتة، مؤثرة آثاراً مختلفة ، قد يقوى أثرها فى شخص ويضعف فى آخر ، ولكنها جميعًا لها فى النهاية أثرها الذى لا يجحد والظاهرة التى بين أيدينا ظاهرة مركبة ، معقدة ، وأسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة ، بعضها قريب ، بعضها بعيد ، بعضها مباشر ، وبعضها غير مباشر ، بعضها ماثل للعين ، طاف على السطح ، وبعضها غائص فى الأعماق .

ومن هذه الأسباب ما هو دينى ، وما هو سياسى ومنها ما

هو اجتماعى وما هو اقتصادى ، ومنها ما هو نفسى وما هو فكرى ، وما هو خليط من هذا كله أو بعضه .

قديكمن سبب هذه الظاهرة فى داخل الشخص المختلف نفسه ، وقد يكون السبب أو بعضه عن البحث داخل أسرته ، عند أبويه واخوته وعلاقاته بهم وعلاقتهم بعضهم ببعض .

وقد يرجع السبب عند التحليل والتعمق إلى المجتمع ذاته ، وما يحمل فى طياته من تناقضات صارخة ، بين العقيدة والسلوك .. بين الواجب والواقع .. بين الدين والسياسة .. بين القول والعمل .. بين الآمال والمنجزات .. بين ما شرعه الله وما وضع البشر .

وقد يعود السبب إلى فساد الحكم أو اتباع أهواء بطانة السوء فى الداخل ، والحاقدين على الإسلام فى الخارج ، مما جعل القرآن والسلطان ، أو الدين والدولة فى خطين لا يلتقيان .

وقد يعود إلى الدور الذى تقوم به أجهزة الاعلام مبنيا على الشطط والبعد عن الدين والحياء ، والفحش الذى يصل إلى حد التبجح ، كما قد يرجع إلى أسباب أخرى ، أو إلى ذلك كله ، ومثل هذه المتناقضات توجد فرقة وخلافات وخلافات .
ونركز على شيء من ذلك :

أهم أسباب الفرقة :

١ ـ ***الشيطان*** : حرص الشيطان بحكم عداوته للإنسان أن يفرق كلمتهم . قال تعالى : **﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾**(١) مستعملاً فى ذلك كل الوسائل . كما قال **﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**(٢) .

هذا وليس شرطا أن يتم كل ذلك دفعة واحدة ، بل على مراحل وخطوات ، لذا قال الله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر . . ﴾** (٣) ولتلك الخطوات صور ومراتب كالتسلط على الإنسان بالأذى ، والاشتغال بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب ، أو الاشتغال بالعمل الفضول عن الفاضل ، أو بالتحريش بين المؤمنين . أو فعل الصغائر ، أو

---

(١) سورة فاطر : ٦

(٢) سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧

(٣) سورة النور : ٢١

ارتكاب الكبائر ، أو الوقوع فى البدع ، ثم الوصول به إلى الكفر أو الشرك ، والذى يعيننا هنا هو حرص الشيطان على أن يوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين بوسيلة أو بأخرى ، كما قال تعالى **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾** [1] .

وقال النبى ﷺ : **«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون بجزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم»** [2] أى أنه يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والبغضاء والفتن .

كما أنه يأمر الناس بالحسد ، إذا رأى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه ، ويأمره بالحرص وهو شدة الإرادة والشره إلى المطلوب ، وذلك بحرص المرء على الدنيا ، وانشغاله بها بل هو معذب بها فلا يفرغ من محبتها .

والمرء منا يعلم مالهذه أو تلك من آثار بين الناس ، تشعل بينهم الفتن كما تشتعل بينهم النار فى الهشيم ، وتزكى بينهم

(١) سورة المائدة : ٩١

(٢) رواه البخارى ومسلم بلفظ (أيس) بدلاً من (يئس) .

الفرقة وتؤجج نارها كما لو سكبت على النار قارا .

وكذا كل حبائل الشيطان لو تأملتها أدركت أنه يريد من ورائها أن يفرق بين الواحد وأخيه . وبين المرء وزوجه ، وبين الابن وأبيه . وهو بذلك يريد أن يفرق جماعة المسلمين . ويوقع بينهم العداوة والبغضاء ، حتى يكون قريبًا منهم . لأن الشيطان قريب من الواحد . وهو من الاثنين أبعد .

٢ ـ أولياء الشيطان ، أو أعداء الإسلام : ومبدأ «فرق تسد» :

قال تعالى : ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ..﴾ (١) .

كما قال تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ..﴾ (٢) .

لقد جرب اليهود مبدأ «فرق تسد» فوجدوه ناجحًا أيما نجاح .

---

(١) سورة المائدة : ٨٢

(٢) سورة البقرة : ١٢٠

فقد نجح اليهود يوم أن أدخلوا «شاول» اليهودى ، بين أتباع عيسى عليه السلام ، المعروف باسم «بولس الرسول» عند النصارى ، فاستطاع أن يفرق وحدتهم ، وأن يغير معالم دينهم، وجربوا ذلك مع الأوس والخزرج ، إذ نزلوا عليهم بيثرب ، وقبلوا أن يكونوا عبيداً عندهم ، ثم ما لبثوا أن فرقوا كلمتهم وأثاروا الضغائن بينهم ، وأوقدوا نار الحرب بينهم ، بعد أن كانوا إخوة متحابين ، وهم من أصل واحد ويدعون «بنى قيلة» نسبة إلى أمهم ، فلما أشعل اليهود نار الحرب ، وأمدوهم بالسلاح وأعانوهم على ذلك ، وإلى أن انهكت الحرب قواهم ، وأثقلت الديون كاهلهم ، كشر اليهود عن أنيابهم ، وقالوا لهم : يوشك أن يبعث فينا نبى آخر الزمان ، نؤمن به ونقاتلكم معه قتل عاد وإرم ، كما طالبوهم بسداد ديونهم ، فلما عجزوا عن ذلك استرقوهم ، فتحول العبيد إلى سادة ، والسادة إلى عبيد ، عن طريق الفرقة ، أو «فرق تسد» فيا سبحان الله ! ! .

وهكذا ظل اليهود يعملون بهذا المبدأ الذى وثقوا به وأيقنوا

من نتائجه ، إنه أكيد المفعول ، حتى لو كان بطيئًا فى كثير من الأحيان ، نعم « بطىء ولكنه أكيد المفعول» .

فعملوا بذلك مع المسلمين منذ أن قامت لهم دولة ، وصار لهم كيان ، على نحو ما عرفت فى نشأة الفرقة ، منذ العصر الأول في تاريخ الإسلام ، وحتى العصر الحديث هذا ، وما أخبار إسرائيل عنا ببعيد ، حتى رأينا العرب . على الرغم من كثرتهم يهزمون أمام إسرائيل . وهم حفنة من البشر - فى أكثر من معركة ، وفى جبهات مختلفة ، فى وقت واحد ، وما ذلك إلا بتفرق كلمة العرب والمسلمين . ومثل هذا قل عن النصارى أو الصليبية العالمية ، وما تفعله بالمسلمين ، أقليات وأكثريات وما البوسنة والهرسك منا ببعيد ، أو ما تفعله الشيوعية الملحدة بالمسلمين ، ولا تزال أحداث الشيشان ماثلة للعيان ، واجتماع الأعداء على المسلمين فى أحداث العراق مع الكويت والخليج ، وأما المسلمون ، فالأمر كما قال ﷺ : «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها» قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا :

وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت»[1] .

ثم حدث ولا حرج عن دور المنافقين ، والعلمانيين والماسونيين والشيوعين فى بلاد المسلمين .

٣ ـ الفرق الضالة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك ، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هى يا رسول الله : قال : ما أنا عليه وأصحابى» [2] .

هذا ولقد ذكرنا من قبل فى نشأة الفرقة أنه استطاع أعداء الإسلام ، وعلى رأسهم اليهود وأهل النفاق أن يفرقوا كلمة المسلمين ، وأن ينشبوا الحروب بينهم ، كما وقعت الفتنة الكبرى بين على ومعاوية ، فكانت معركة الجمل ، وموقعة

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجة وابن حبان وصححه والحاكم ـ وصححه على شرط مسلم ، ورده الذهبى بأنه لم يحتج به منفرداً ، بل بانضمامه إلى غيره

صفين ، وما تبعها من قضية التحكيم ، فكانت فتنة جديدة ، تتابعت الفتن على إثرها تقوى ، فوجدت أصول الفرق كالخوارج والقدرية ، والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية ، وكذا المعتزلة والمشبهة والنفاة المعطلة . ثم الفلاسفة والاتحادية ، والباطنية وما تشعب من هذه الفرق وتفرع عنها .

وهى فرق اختلفت فى معنى الإيمان ، وأصول الدين ، وقضية التوحيد ، أو الأسماء والصفات ومن ضل فى عقيدة القضاء والقدر ، أو قال بخلق القرآن ، أو من قلب حقائق الدين رأسًا على عقب ، وهناك من أله عليا ، أو زعم له النبوة، ومن قال بعصمة الأئمة ، وكذا من قال بنبوة بعد محمد ﷺ ومن كفَّر الصحابة وجمهرة المسلمين ، وهناك من تهاون حتى أدخل الكفار فى دائرة المؤمنين .

كمن قال بأن الإيمان مجرد علم أو تصديق ، أو نحو ذلك، وهناك الذين جعلوا الناس فى الإيمان سواء فيستوى إيمان فرعون بإيمان جبريل ، وإيمان الزنديق بإيمان الصديق أو من قالوا : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، أوزعم أن الطاعات ليست من الإيمان .

وهناك من أنكر رؤية الله تعـالى ، أو زعم أن أكثر صـفات الله مخلوقة ، أو أن الله يشبه خلقه .

ومن زعم أن الجنة والنار تفنيان ، ومنهم من قـال إنهما لم يخلقا بعد .

ومن تبرأ من على ومعاوية ، وقـالوا من تحاكم إلى مخلوق فهو كافر .

وكذا من شرط العدل على الله ، وأوجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده .

ومن زعم أن العبد يخلق أفعالـه بنفسه ، وأن الله لا يعلمها إلا إذا فعلها العبـد ، ومن قال : إن الله لم يقض ولم يقدر : ومن خالف ذلك فقال : إن الله يعذب العباد على فعله لا على فعلهم .. إلخ .

وهذا الضلال بقـيت له آثار ، يحيـيها بعـض المغرضين بين الحين والحين ، فتـؤدى إلى فرقة المسلـمين بما لا يعلم مداه إلا رب العالمين .

٤ ـ التنازع على السياسة والملك :

قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ...﴾ [1].

وإذا استقرئنا التاريخ وجدنا كثيرًا من ألوان الفرقة وقعت بسبب التنازع على السياسة وحب الرياسة ، الذى انبنى على حب الدنيا الذى تمكن من قلوب بعض المسلمين .فذهب عزهم وذهبت قوتهم ، وباءوا بالهزيمة والفشل ، وما ضاعت الأندلس وأخواتها إلا لهذا السبب الرئيسى .

وكذا فى كل عصر إذا نظر الإنسان إلى نفسه ، وعمل لحسابه ، ولم يبال بدينه وأمته ، فإن ذلك يجر على الأمة ويلات وهزائم .

فلقد عاصرنا أقوامًا يأبى الواحد أن يكون تابعًا أو مامورًا ، ولا يرضى إلا أن يكون أميرًا متبوعًا ، فيفتعل الخلافات ، ويوجد المشكلات حتى يتسنى له ما أراد ، على حساب الجماعة والأمة والدين كله .

بل قد يقع التنازع على الإمامة ـ بخلاف الإمارة ، فمما

---

(١) سورة الأنفال : ٤٦

يرثى له أن أناسًا من المسلمين تقاتلوا يوم العيد ، بسبب الخلاف على من يصلى بهم العيد ، الذى هو سنة ، ووحدتهم هى الفرض ، وتحول الحال من عيد إلى وعيد ، بين أناس جرحى، وآخرين قتلى ، وصنف ثالث ما بين أسرى ومعتقلين ! !

وكما قال القائل :

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة

فيها أمير المؤمنين ومنبر

وقال الآخر :

مما يزهدنى فى أرض أندلس

ألقاب معتصم فيها ومعتضد

ألقاب مملكة فى غير موضعها

كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

لقد توحدت كلمة عدونا فانتصروا علينا ، وتفرقت كلمتنا فكانت هزيمتنا ، وصدق من قال :

هم حـــاربونا برأى واحـــد عـدد

قلّ ولكـن مـضـــاء ثابت الـنسق

دأبا وعـزمـا واعـدادا وتضـحـيـة

وبادروا غزونا فى مكر غيـر مستبق

يحـدوهم أمل ، يمـضى به عـمل

ونحن واسـوأتا ـ فـى ظلة الحـمق

حـارت قواعـدنا ،زاغت عقـائدنا

أمـا الروؤس فـرأى غـيـر مـتـفق

البعض يحسب أن الحرب جـعجعة

والبعض فى غفلة والبعض فى نفق

قالوا الشعوب،وهل نال الشعوب سوى

قول جـزافا واصـلاحا على الورق

٥ ـ العصبية الجاهلية :

قال تعالى : ﴿إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ (١) .

وقال ﷺ : «ليس منا من دعا إلى عصبية» (٢) .

---

(١) سورة الفتح : ٣٦

(٢) رواه مسلم وابو داود .

ومجتمعاتنا تعج بالعصبيات ، قد يكون ذلك بسبب لون أو لغة أو عنصرية .

وقد يكون بسبب حدود مصطنعة بين دولة مسلمة وأخرى مسلمة كذلك فى الوقت الذى تركنا فيه قتال عدونا الحقيقى ، رحنا يقاتل بعضنا بعضا على أشبار أو أمتار من الأرض أو التراب ، وما وضع هذه الحدود المصطنعة إلا أعداء الإسلام ، وجعلوا فيها تلك الفروق لضرب الأمة الإسلامية بعضها ببعض، ولتسود هى على حساب ذلك ، وعصبية جاهلية بالتنازع بين القوميات المفتعلة على حساب وحدة الأمة والدين، فهذه قومية عربية،وتلك قومية فرعونية،وثالثة طورانية . . . إلخ

وعصبية جاهلية بالتقاتل بين القبائل والعشائر والبطون ، فيما يعرف بالثأر ، ينتشر فى البلاد الإسلامية ، كما انتشر الآن بين الحكومات والجماعات الإسلامية ، كردود فعل يثأر كل واحد من الآخر ، بعيدًا عن ضوابط الشرع الحنيف .

وعصبية جاهلية بالانتصار للراية أو الحزب أو الجماعة أو الطريقة والتعصب لذلك على حساب كل شىء فرأيته هى الدين، وحزبه هم حزب الله،وجماعته هى الناجية،وطائفته هى

المنصورة ، وطريقته هى المستقيمة ، واخوانه هم المسلمون فقط، لهم حق الإسلام وحق الأخوة والولاء والنصرة ، وما سواهم ليسوا كذلك ، إنه واقع مر لخصته هذه الكلمات ، وأما الوقائع والأحداث فلا تسعها تلك الصفحات . وعصبية جاهلية بالتعصب لشيخه وإمامه أو أستاذه ، الذى يجامله على حساب الحق ، أو يعنى بجوانب النقص والسلبيات عند غيره ، ويغض الطرف عنها فى شيخه الذى يقدسه ، ويستبسل فى الدفاع عنه حتى إنه لا يكاد يعترف بخطأ له مهما كان الأمر ، وإن كان لا يزعم عصمته ، ومن العصبية وجود المبالغات والمتناقضات ، فحين تحب إنسانا لا تجد فى قلبك مكانا لتقبل أى خطأ ينسب إليه ، وحين تكره إنسانا ترى حسناته أخطاء ، وترميه بالضلال.

فإما أن يعطوه ١٠٠ ٪ أو يعطوه صفراً ، نرفعه فوق منزلته، أو نحط من قدره ، فيا سبحان الله ! ! .

٦ ـ التعصب الأعمى :

لقد سبق أن تحدثنا عن خلافات الفقهاء ، ونشأة المذاهب الفقهية ، وهذه فى حد ذاتها لا تدعو إلى فرقة ، وإنما الذى يورث الفرقة هو التعصب لها ، بالتعصب للشيخ أو الانتصار للمذهب ، ولقد وجد فى محيط الأمة الإسلامية على مدى القرون من يتعصب للمذاهب تعصبًا بغيضا ، لقد رأينا من ينكر الخروج عن المذهب وإن خالف والقرآن والسنة ، لأن الخروج عن المذهب خروج عن الدين ، ومن قال : كل نص خالف مذهبنا فهو منسوخ أو مؤول .

وضاق الناس بالخلاف ، وتعصبوا لرأيهم ومذاهبهم ، بل تقاتلوا وتناحروا ، وتركوا الصلاة خلف بعضهم ، ووجدت الجماعات المتعددة فى المسجد الواحد ، كل منهم يصلى حسب مذهبه ، واتهم الناس بعضهم بعضا ، فظن فريق منهم أنهم على الحق ، وأن من سواهم على باطل ، أو ليسوا على شىء ثم راح قوم يمتدحون أئمتهم ، ويتعبدون بأقوالهم . ووضعوا الأحاديث فى مدح أئمتهم وذم الآخرين ، كمن أنشأ يقول : سيكون فى أمتى رجل يدعى محمد بن إدريس أضر على أمتى

من إبليس ، ويكون فيها رجل يدعى أبو حنيفة هـو سراج أمتى ، سراج أمتى .

ولله در المنذر بن سعيد ، وهو يتبرم من التعصب المذهبى ، ويقول منتقـدا من يتعصبون لمذهب الإمام مـالك وينتقدون من خالفه بمقتضى الدليل ، فقال :

عـزيرى من قـوم يقـــولون كلمـا
طلبت دليـلا ، هكذا قـال مـالك
فإن عـدت قالوا هكذا قـال أشهب
وقـد كان لا تخـفى عليه المسـالك
فإن عـدت قالوا قال سـحنون مثلَه
ومن لم يقل ما قـاله فـهـو آفك
فإن قلت قـال الله ضجـوا وأعولوا
وصـاحوا وقـالوا أنت قِرن مماحك
وإن قلت قد قال الرسـول فقولهم
أتت مـالكًا فى تـرك ذاك المسـالك

وهذا التعصب قابله تعصب آخر فى الحمل على المذاهب والتهجم عليهم ، واتهام الأئمة ، والطعن فى مذاهبهم الفقهية وتوهينها فى نفوس الناس ، وذلك بأساليب مختلفة ، كالطعن فى بعض الأئمة بوجه من أوجه الطعن ، أو تجميع الزلات العلمية والأقوال الضعيفة والواردة فى المذاهب المختلفة ويسلط عليها الأضواء ، عسى أن يزعزع بذلك ثقة الناس بمذاهبهم . أو يصرفهم عنها إلى رأيه وقوله ، ولا يفعل هذا إلا حاقد حسود، أو عدو لدود ، أو متعصب حقود ، يهدف إلى هدم هذا الدين، وفرقة المسلمين ، وزعزعة الثقة فى الفقه والفقهاء، وعدم احترام العلم والعلماء ، والجمود عند رأيه وترك بقية الآراء .

٧ ـ الجهل بطبيعة هذا الدين :«بعدم الجمع بين الثبات والمرونة»

يتعرض المجتمع الإسلامى للخطر ، ويصاب بهزة شديدة ، وتعتريه فرقة قاتله : بسبب الجهل بطبيعة هذا الدين ، الذى من خصائصه الجمع بين الثبات والمرونة .

* وذلك عن طريق فئة تبرز جانب المرونة والتيسير ، والتطور والتغير فى تعاليم الإسلام فحسب ، حتى تحسبها عجينة لينة قابلة لما شاء الناس من عقائد وأفكار ، وقيم وموازين ، وأنظمة وتقاليد ، ومُثُل وأخلاق ، وأن الدين يتساير مع كل العصور والأفكار ، بل ويخضع لتقلبات الحياة وظروفها ، يستقيم إذا استقامت ، ويعوج إذا اعوجت ! ! وهذا الصنف يُخْضِعُ كل شىء فى الدين للتطور والتغير باسم التسامح والمرونة وروح الشريعة ، وهو الذى شأنه الثبات والدوام والاستقرار .

حتى نرى ونسمع فى عصرنا الحديث أن فئة من أبناء المسلمين يريدون خلع الأمة من دينها ، وعزلها عن تراثها كله باسم التطور ، أو موالاة الكافرين باسم التقريب بين الأديان أو

ترك الشريعة باسم روح الشريعة ، أو المساومة على العقائد والأصول والكليات تحت أى اسم أو عنوان ، قد يمت للدين صلة .

* وفئة وقفت فى الشق الآخر ، تبرز جانب الثبات والخلود والجمود فى التشريع الإسلامى ، حتى يخيل إليك أنك أمام صخرة صلدة ، لا تتحرك ولا تلين وذلك فى كل أحكام الدين، فتجمد ما من شأنه التغير والتطور والمرونة ، فتصاب الحياة بالعقم والجمود ، وتصبح كالماء الراكد الآسن الذى يجعله الركود مرتعًا للجراثيم والميكروبات .

ولذلك رأينا من شباب الأمة من يرفض اجتهادات الأئمة ، وينكر تعدد الآراء ، واختلاف وجهات النظر ، وتنوع المدارس. من خلال هذه النظرة الجامدة المخططة ، فهاتان فئتان ، وتلك نظرتان ، لم يتفهما طبيعة هذا الدين ، فأضروا وما نفعوا ، وفرقوا وما جمعوا ،فضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل .

يا قومى : إن هذا الدين جمع بين الثبات والمرونة ، وبين الجمود والتغير ، وبين الخلود والتطور الثبات على الأهداف

والغـايات ، والمرونة فى الوسـائل والأساليـب ، الثبـات على الأصول والكليـات ، والمرونة فى الفروع والجزئيات ، الثبات على القيم الديـنية والأخلاقيـة ، والمرونة فى الشئـون الدنيوية والعمـلية كمـا أن الكون فيـه ثبات فى العناصـر ، وتطور فى المظاهر ، فكذا الدين يجمع بين الثبات والتطور . فالكون خلق الله ، والإسلام دين الله .

٨ ـ مفاهيم خاطئة في حياة المسلمين :

إن وجود مفـاهيم خاطئة فى حياة المسلمين ، كان لهـا أكبر الدور وأعظم الأثر فيما وصلت إليه الامة من حال يرثى لها ، فـمن طريقـها تنوعت أفـكار الناس ، وتعددت مـشـاربهم ، وتفرقت جماعتهم ، بل اختلفت عقيدتهم ، وتلك طامة كبرى فرقت المسْلمين شيعا وأحزابًا .

* والمفاهيم الخـاطئة متنوعـة ، منها ما هو مـرتبط بالقرآن الكريم ، وذلك بتفسـير الآيات على غير وجههـا ، أو وضعها فى غير مـوضعها ، أو الاستـدلال بها فى غير محلهـا ، فإما خطأ فى الدليل أو فى الاستدلال ، فيظلم الآيات ، وهى حق ولا شك ، ولكن تكون من الحـق الذى أريد به باطل ، وهذا

كثير جدًا فى القرآن الكريم لدرجة أنه لا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم ، وكم حبب هذا النوع للناس ، فترى الألسنة تلوكه وتردده كالببغاء ، وتخفى الحق الذى يجب أن يكون معلومًا من الدين بالضرورة وكذلك بنشر الإسرائيليات ، وانتشارها فى التفسيرات .

* أو تكون تلك المفاهيم متعلقة بالحديث الشريف ، وذلك من وجوه :

- أحاديث صحيحة يقلب معناها ، ويستدل بها فى غير موضعها ،حتى إنها تصير بالفهم الخاطىء لها داعية للفوضى ، أو سببًا فى الفساد ، أو الهدم لا البناء ، والكسل لا العمل ، والنماذج كثيرة .

- وقوم تركوا الأحاديث الصحيحة ، وأبوا إلا العمل بالأحاديث الضعيفة ، ونشروها فى الناس .

- وآخرون أكثروا من الأحاديث الموضوعة على ألسنتهم ، وفى كتبهم ، حتى صارت أشهر من الأحاديث الصحيحة ، تلوكها الألسنة ، وزينها لهم إبليس ، ويسر لهم حفظها ، حتى ترى العوام يحفظونها ، كما يحفظها من ينتسب إلى العلم ،

مع كامل الأسف .

- هذا فضلاً عن أحاديث صحيحة يطعنون فيها ، وأخرى يضربونها ببعضها .

* هذا ومن المفاهيم الخاطئة ما سطر فى كتب التاريخ من زيف وكذب واختلاق ، سطرته أيدى غير إسلامية ، أو مشكوك فى إسلامها ، حتى رأينا الطعن فى أصحاب محمد ﷺ وسلفنا الصالح مسطورًا فى كتب التاريخ الإسلامية ! ! هذا بخلاف التلفيق والكذب وتزوير الحقائق .

* ومن المفاهيم الخاطئة قصر فهم الناس لمبادىء الإسلام العامة ، وأصوله وكلياته ، حتى إن الكثير منهم ليجهل معنى الإسلام والشهادة والعبادة ، والولاية ، والولاء والبراء ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. إلخ .

ولا شك أن وجود مثل هذه المفاهيم الخاطئة فى حياة المسلمين يؤدى بهم إلى فرقة ، بل إلى فتنة عمياء يصير فيها الحليم حيرانًا .

٩ ـ اتباع الهوى أو اعجاب كل ذي رأي برأيه :

قال تعالى : ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على** علم وختم **على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن** يهديه من بعد الله **أفلا تذكرون**﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿**ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن** الذين **يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم** الحساب﴾ (٢) .

وقال ﷺ : «**إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا** مؤثرة ، **واعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ،** ودع عنك أمر **العوام**» (٣) .

وآفة ذلك العصر أننا نرى كل إنسان مقتنعًا برأيه ، وإن كان خاطئًا لا يحيد عنه ، وكم أضر بالأمم والشعوب تشبث حكام بآرائهم ، وقادوا شعوبهم للهلاك ، وأمتهم للدمار ، انتصارا لرأيهم الواحد ، المبنى على هوى لا على شورى ، وذلك المعروف فى دنيا الناس «بالدكتاتورية» وواقع الناس خير دليل .

---

(١) سورة الجاثية : ٢٣

(٢) سورة ص : ٢٦

(٣) رواه الترمذى بتمامه ، وقال حديث حسن غريب صحيح ، وكذا أبو داود ورواه ابن ماجة وابن جرير .

وقد يبنى رأيه لمجرد حماس للدين ، أو عاطفة دينية غير منضبطة ، ولا تعرف الواقعية ، ولا ترتبط بالمنهج الإسلامى الصحيح ، كمن يتعجل الخطوات ، أو قطف الثمار قبل أوانه، وكما قيل «من تعجل شيئًا قبل أوانه ، عوقب بحرمانه» .

وكمن يتعجل طريق الاصلاح ، فهو يريد أن يصلح فى ليلة ما أفسده الدهر ، فهو إذا رأى منكرًا فى مكان ما فيريد أن يقلب الأمور رأسًا على عقب ، فتكون النتيجة سلبية وعكسية، ويقطع على نفسه وعلى غيره طريق الاصلاح ، أو من يتخيل أنه يملك من القوة ما يغير به الدنيا أو يستطيع أن يغير مجتمعه، فى الوقت الذى لم يستطع أن يغير بيته أو حيَّه أو مدرسته أو مؤسسته ، أو أنه يغتر بقوته أو كثرة أتباعه ، فيتعلق بأحلام وأوهام .

ومن هذا النوع أيضًا من يرى أن الحق معه وحده لا يخالفه، وأن من سواه على باطل ، أفرادًا وجماعات ، بل ربما صاح قائلاً كحال واحد نعرفه : كل العالم كافر ، إلا عبد القادر ، يعنى نفسه . فهذا نوع من الناس يقول : رأيى صواب لا يحتمل خطأ ، ورأى غيرى خطأ لا يحتمل الصواب ،

ورحم الله الشافعي ؛ إذ قال : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ، هذا ومن الاعجاب أيضًا أن ترى طالب عالم مبتدىء ينصب نفسه حكما على العلماء ، ويدعو لفقدان الثقة في العلماء ، يعين بذلك أعداء الإسلام ، ويدعو إلى الفتنة ، ويكثر من الفرقة ، وهو الذى لم يحسن كيف يتعلم بعد .

١٠ ـ شبهات وافتراءات :

إنها شبهات وافتراءات سجلها المستشرقون ، وفتن بها المستغربون ، ورددها المسلمون .

تمثل ذلك فى اتهام هذا الدين ، بالزعم أن فى القرآن الكريم تناقضًا [١] . أو بالطعن فى التشريع ، أو بتنحية الشريعة .

ومن أمثلة ذلك : لماذا يدعو الإسلام الناس للدخول فيه ، ويجاهدهم على ذلك مع أنه ﴿ **لا إكراه فى الدين**﴾ [٢] .

ولماذا يحمل الرسول ﷺ السيف ﷺ وينشر الإسلام بالقوة مع أن الله يقول ﴿**لكم دينكم ولى دين**﴾ [٣] .

---

(١) راجع ذلك بتوسع فى كتابنا «آيات مظلومة»

(٢) سورة البقرة : ٢٥٦

(٣) سورة الكافرون : ٦

وكيف يتعايش المسلمون مع غيرهم بالأمن والسلام فى ظل قول الله تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ [1] .

ثم لماذا هذه الحدود «الوحشية» ! وتلك العقوبات «الهمجية» ! ! أو ما تسمونه بالشريعة الإسلامية ، وتطالبون بتطبيقها على الناس قهرًا وقسرًا ، وهى لا تعدو إلا أن تكون شريعة بدوية ، تطبق على البدو فى الصحراء ، لا على أناس متحضرين ، يراد لهم الرجوع إلى الوراء فيما يشبه الحكومات الدينية فى عصور أوربا المظلمة ، بعد ما تخلصوا من تبعات ذلك وويلاته ؟ ! .

ولماذا تؤخذ الجزية من أهل الكتاب ظلمًا وعدوانًا ، وأين هذا من التسامح الإسلامى ؟ ! أضف إلى ذلك ما أباحه الإسلام من الرق ، وملك اليمين والتمتع بهن من غير عقد نكاح ! ! هذا بخلاف ما يرددونه من شبهات حول المرأة ، لا يكادون يفترون عن ذكرها وتكرارها ، لماذا ظلم الإسلام المرأة فى كل شىء ، فى عدم المساواة بالرجل فى التعليم أو العمل ، أو الشهادة أو الميراث ، أو القوامة ، وجعل عصمتها بيد

(1) سورة الأنفال : ٣٩

زوجها ، وجعل له حق طلبها فى بيت الطاعة ، وأباح للرجل تعدد الزوجات ، وهى لا تملك من ذلك شيئًا ، وجعل الطلاق من حق الرجل أيضًا ! ! لماذا لا تأخذ المرأة حقوقها ، لماذا لا تنال حريتها ، لماذا ؟ لماذا ؟ ؟ ! ! .

هكذا المستشرقون والمستغربون - فى بلادنا - ينظرون إلى القضايا ويتهمون الإسلام ، وقد تلقى هذه الشبهات آذانًا صاغية ، وتقع من بعض الناس موقع القبول ، لا سيما أصحاب المصالح وضعاف الإيمان ، والجهلة بأحكام الإسلام ، فترددها الأفواه ، وتكثر أبواق الدعاية لها ، ويزكيها المغرضون ، وبذلك تقع الفتنة ، وتحدث الفرقة بين المسلمين ما بين مؤيد ومنكر ، ومستجيب ومعترض ، ومقتنع وممتنع ، ومنافق ومقاتل ! !

١١ - الإفراط والتفريط أو الغلو والتسيب :

فدائمًا وأبدًا يكون البعد عن الاستقامة والوسطية سبب ضلال وفرقة ، وغالب حال الناس فى كل الأمم الذين حاربوا الأنبياء وأنكروا الرسالات كانوا مصابين بهذا المرض ، وهو الغلو ، إما هكذا أو هكذا ، إفراطًا أو تفريطًا، يمينًا أو يسارًا ،

فينحرف عن منهج الله القويم وعن صراطه المستقيم ، والله تعالى يقول : **﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾** (١)

إن هذا الافراط أو التفريط أوجد فرقا تنتمى للإسلام لها العجب .

فإن الغلو فى الدين هو الذى جعل رجلاً يدعى «ذو الخويصرة» يقول لرسول الله ﷺ : اعدل يا رسول الله ويقول له: اتق الله ، فما هذه قسمة أريد بها وجه الله ! ! (٢) ثم خرج من نسله الخوارج الذين كفروا أصحاب محمد ﷺ ، وفعلوا ما فعلوه ، بسبب غلوهم فى كراهية على بن أبى طالب ، ثم وجد الغلو المضاد الذى وقع من الشيعة بسبب غلوهم فى محبة على حتى وجد منهم من زعم له الألوهية أو النبوة ، أو الأفضلية على سائر الصحابة والخلفاء الراشدين .

وفى المقابل وهو التفريط أو التسيب وجدت فرق كالمرجئة تقول : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٣

(٢) الحديث بطوله رواه البخارى ومسلم وغيرهما

وجدت الجبرية التى تزعم أن الانسان مجبر على كل شىء وقال أحدهم : أصبحت منفعلا لما يراد منى ففعلى كله طاعات

وغيرهم ممن زعم أن الإيمان مجرد علم أو قول أو تصديق ! !

وهذا الافراط أو ذلك التفريط أوجد فرقتين ، لا زالتا فى زماننا هذا ، فرقة التكفير والهجرة ، امتدادًا للخوارج ، وفرقة الصوفية ، امتدادًا للشيعة .

لهم انحرافات منهجية وأخرى سلوكية ، كما أن لهم أفكارًا تضحك وتبكى ، وذلك مع غياب العلم الشرعى ، والبعد عن الوسطية ، وعدم وضوح المنهج ، وعجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن ، سواءًا أكان بين الفرد والجماعة أو بين الدنيا والآخرة ، أو بين المادية والروحية ، أو بين العقل والعاطفة ، أو بين العلم والعبادة ، أو بين التحليل والتحريم ، أو بين المشاهدة والغيب ، أو بين الخوف والرجاء ، والأمن واليأس ، كل ذلك يوجد خللاً ، ويورث فرقة ويحدث فتنة ، ودائمًا هذا حال الغلو بالإفراط أو التفريط .

١٢ - فقدان القيادة المسلمة ، والخلافة الراشدة :

لما سقطت الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤ على يد الخائن مصطفى كمال أتاتورك ، سقطت الدول الإسلامية فى أيدى المحتلين دولة إثر أخرى كحبات عقد انفرط سلكه فتتابع ، واستطاع الأعداء تمزيق الأمة ، وافتعال الحدود بينهما حتى تنالها واحدة تلو الأخرى ، وتنفرد بكل دولة فتفعل معها ما تشاء ، دون أن تتحرك الدولة الأخرى لتنقذ أختها المسلمة بغض النظر عن الأرض والحدود ، ونسينا مقولة القائل «أكلت يوم أكل الثور الأبيض» ولما لم يجد الشباب الإمام المجدد ، أو العالم المجتهد ، ولكن وجدوا أدعياء العلم ، والرؤساء الجهال ، ومن يفتى بغير علم ، ووجدوا المسلمين فى العالم كالأيتام على موائد اللئام أو كالغنم فى ليلة شاتية ، فقدت راعيها ، ولم تجد من يزود عنها ، والذئاب تعوى عليها بل وتنهشها ، وتروح وتجيىء ، ولكن ليس من مناد ولا مجيب . فراح كل واحد من الناس أو العوام ، وربما من الفشام أو الطغام، أو كان سفيها رويبضة ، أو من الهمج الرعاع ينصب نفسه إمامًا للمسلمين أو يزعم أنه صلاح الدين ، وبطل حطين، وهازم الصليبيين ، أو زعم أنه المجدد لهذا الدين أو المهدى الذى ينتظره المسلمون .

وربما وصف نفسه بأنه إمام الأئمة ، وشمس الأمة ، ووحيد عصره وفريد دهره ، العالم العلامة والحبر الفهامة ! ! وضاع الشباب وسط هذه التيارات الجارفة ، وتفرقت الكلمة ، وهزمت الأمة .

وتشبث الصالحون من الشباب بالجزئيات دون الكليات ، واتباع المتشابهات وترك المحكمات ، والانشغال عن القضايا الكبرى وضخموا الخلاف فى الأمور الفرعية ، وخرجوا عن الواقعية ، وشطوا عن الوسطية فلم يوفقوا بين العلم والدعوة ، ولا بين العبادة والعلم الشرعى ، كما انتشرت موجة تكفير الناس بالجملة كما كثر العنف ، وصار العنف يولد عنفًا ، وتبجح الباطل ، وانتشرت ألوان الكفر والردة وصار الإسلام غريبًا فى ديار الإسلام . مع الهجوم العلنى والتآمر الخفى علي الأمة الإسلامية وصار الالتزام بالإسلام مجرد دعوى تدعى ، أو شعار يرفع ، أو مجرد نص فى الدستور ، ثم سارت سفينة الحياة بعد فى خط يجافى الإسلام ، مع التناقض الصارخ بين الإيمان بالإسلام وتجميد أحكامه وتعطيل حدوده ، وإغفال توجيهاته وآدابه ، واستيراد القوانين من الغرب أو الشرق بديلاً عنه وتبع ذلك مناهج التعليم ، وأجهزة الاعلام ، والمسئولون عن الدعوة أيضًا .

أسباب الفرقة

نظم د / عمر بن عبد العزيز

والفـــرقـــة بـين المسـلمـين
هى الـعـــدو اللدود لـلإنســـان
وأسـبـابهـا كـثـيـرة إليك أهمـهـا
فافـهم ذلك يغنيك عنى كـثـيـر بيان
هى رأس كل خطيـئـة ، ورأسـهـا
هو طاعة الشيطان ومعصية الرحمن
أقـــسم إبـليس عـلى الأغـــواء
والعـداوة والتحـريش بين أهل الإيمان
وثانيــهـا مـخططات أشـد الناس
عداوة للذين آمنوا وكـذا بنى الإنسان
ملخـصــهـا فـرق تسـد ، جـربوا
ذلك فنجـحـوا على مدى الأزمـان
وثالثــهـا تنـازع على ســيـادة
وملك وحـب الدنيـا مع السـلطان

ورابع ذلك جهل بمعالم

الدين وطبيعته أوقع في الهوان

ومفاهيم خاطئة انتشرت

فجعلت الدين بمثابة أديان

ثم تعصب أحمق وعصبية

بغيضة فتلك جاهليتان

وفرق ضالة عن الحق زاغت

وهمو ما بين إفراط وتفريط يلتقيان

شبهات وافتراءات زج بها الأعداء

مع فقدان الخلافة والسلطان

وآخر ذلك اتباع الهوى مع

الاعجاب ورد من خالفه مع النكران

علاج داء الفرقة في القرآن والسنة :

وبعد أن عرفنا أهم الأسباب يجب أن نؤكد على أن العلاج لا ينفصل عن الأسباب ، بل تشخيص الداء ، هو طريق لمعرفة الدواء ، وكما قيل : وبضدها تتميز الأشياء وإذا كانت الأسباب - كما بينا - متعددة ومتنوعة ، فلابد أن يكون العلاج متعددًا ومتنوعًا ، ولا يتصور أن لمسة سحرية ستعالج الموقف ، وتوحد الأمر ، وتجمع شتاتها ، فإن الأمراض التى تتعلق بأنفس البشر وعقولهم أعمق وأعقد من أن تعالج بهذه السهولة، وإذا كان من الأسباب ما هو فكرى ، وما هو نفسى، وما هو اجتماعى ، وما هو سياسى ، فإن العلاج ينبغى أن يكون كذلك فكريًا ، ونفسيًا واجتماعيًا وسياسيًا .

وأن يكون كذلك كله من منطق الإسلام ومعطياته ، وفى ضوء الإسلام .

ولا يجوز أن نحمل جهة عبء المسئولية دون جهة أخرى ، كأن نحمل الشباب المسؤلية ونعفى المجتمع أو نحملها للمجتمع ونعفى أنفسنا ، أو نحصرها فى جزئية دون أخرى .

ولكن العبء الأكبر يقع على كاهل العلماء والحكام ،

لأنهم هم القيادة ، وهم الربان الذى يقود السفينة ، ولذلك وجب على العلماء أن ينصحوا الحكام ، كما يجب أن يلتقى الدعاة ، وأن يجتمع العلماء فيما بينهم ، فإن غياب دور العلماء مع تردى الأمر بالتبعية الذليلة للغرب ، سياسيًا وعسكريًا وفكريًا .وتسخير أجهزة الإعلام فى مسخ هوية الأمة وتبديل دينها ، وتقديم النماذج المنحرفة للفنانين على أنهم قدوة كل هذا وغيره أدى إلى فرقة بغيضة ، وإذا استطعنا إيجاد البدائل فقد خطونا خطوات صحيحة نحو العلاج .

ونبدأ بعلاج أهم أسباب الفرقة :

١ - مخالفة الشيطان :

هذا الشيطان الذى حرص من البداية على تفريق الكلمة ، وتمزيق الصف ، والتحريش بين المؤمنين ، وبث العداوة والبغضاء بين المسلمين يجب مخالفته ، ومعرفة حبائله ، وإدراك وسائله، ورد شبهاته ، وقمع بدعه . إن الله أمر بالوحدة والاعتصام ، والشيطان يدعو إلى الفرقة والانقسام ، أفيطاع الله أم يطاع الشيطان ؟ ﴿ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ (١) . لقد أطيع الشيطان فما نفع ، وعصى فماضر !

فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام وقد بذل عمره ونفسه فى إفساد أحوال بنى آدم ، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم

(١) سورة يس : ٦٠

(٢) سورة البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩

بالفحشاء﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبين﴾ (٢) وقال : ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ (٣) كما قال تعالى : ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (٤) كما قال جل وعلا : ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾(٥) وقال : ﴿إنه عدو مضل مبين﴾ (٦) ، وفى القرآن من هذا كثير .

فينبغى للعاقل متى سول له الشيطان أمرًا ، أن يحذر منه أشد الحذر ، ليقل له حين أمره به إن كنت تريد بما تأمر به نصحى، فكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه.

ثم كيف تثق بنصيحة عدو ، ما ترك سبيلاً إلى إضلالك إلا

(١) سورة البقرة : ٢٦٨

(٢) سورة النساء : ١١٩

(٣) سورة المائدة : ٩١

(٤) سورة فاطر : ٦

(٥) سورة لقمان : ٣٣

(٦) سورة القصص : ١٥

سلكه .فالـبعلم والمعرفـة يستطيع الإنســان أن ينجو من حـبائل الشيطان ، وذلك بتوفيق الرحمن .

وكم ضحك اللعين على الجـهال وإن كانوا عـبادًا وزهادًا ، وقد نجى منه الـعلماء بفضل الله تعـالى ، وهو الذى يمتن أهل الدين بالدنيا ، فيتـفرقوا بسببها ، ويتـقاتلوا عليها ، بخطوات مدروسة ، وفتن الشـيطان ومكايدة كثيرة ، نســأل الله الـسلامة منها ، اكتـفينا بالإشارة ، ومن أراد المزيد فعلـيه بالرجوع إلى ذلك فى مظانه [1] .

٢ – مـعـرفـة أوليـاء الشـيطان وعـدم خـوفـهم أو تعظيمهم، والبراء منهم والاستعداد لهم :

قـال تعـالى : ﴿والذين كـفـروا أوليـاؤهم الطاغـوت يخـرجونهم من النور إلى الظلمـات أولئك أصحـاب النار هم فيها خالدون﴾ [2] .

---

(١) راجع : اغاثة اللهـفان من مصـايد الشيطان لابن القيـم ، وتلبيس إبليس لابن الجوزى .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧

وقال تعالى : ﴿**وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين**﴾ [1] . ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض**﴾ [2] .

كما قال سبحانه : ﴿**إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ [3] .

إنه من المعلوم أن لكل دعوة حقة أعداءً يتربصون بها ، ويكيدون لها ، فهذا أمر منطقى، اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل ، والصراع بين الخير والشر ، التى أقام الله عليها هذا الكون الذى نعيش فيه ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين**﴾ [4] .

كما قال تعالى فى شأن أعداء الملة والأمة : ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**﴾ [5] . ومعلوم أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا وعداوتهم لغيرهم مستمرة، وسيعمل اليهود بكل قواهم لتوسيع الخرق الذى نقبوه

---

(١) سورة الجاثية : ١٩

(٢) سورة الأنفال : ٧٣

(٣) سورة آل عمران : ١٧٥

(٤) سورة الفرقان : ٣١

(٥) سورة البقرة : ٢١٧

فى أسوارنا ، وسلاحهم هو الفرقة ، وسيكون همهم الأكبر هو التركيز على هدم قيم الإسلام وبقاياه فى الرؤوس والنفوس حتى تنطفىء تلك الجذوة الكامنة ، والتى لا يخشى اليهود شيئًا قدر خشيتهم منها ، لأنها من نور الله عز وجل ، فهذا دور الأعداء ، فأين دور المسلمين ؟ ! !

ويجب أن يعلم أن المعركة بيننا وبين اليهود ، معركة وجود ومصير ، وصراع عقيدة ودين ، وليس عراك أقوام وأوطان ، وهى معركة ضارية ، لن يخمد لها أوار حتى تنتهى إلى قرار ، لأنها فى حقيقتها وأصلها : صراع بين الحق والباطل ، وتنازع بقاء ووجود ، بين القرآن والتلمود ، وهما خصمان اختصموا فى ربهم ، لا يلتقيان أبدًا ولا يتفقان .

ويجب أن نعلم أن المسيحية التى تدعو إلى المحبة والسلام - زيفا - هى العدو الثانى بعد اليهود ، لأنها من جنس «والذين أشركوا» وأنها كما قال الله : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [1] وواقع المسيحية ينوء كاهله بتاريخ شديد الظلمة ، حالك السواد ، ملطخ بالدماء ، مع

(١) سورة البقرة : ١٢٠ .

المسلمين خاصة ، وإن الفظائع والمذابح التى قام ويقوم بها المسيحيون ضد خصومهم تفوق الخيال ، وتقشعر من هولها الأبدان .

وما حدث فى الأندلس والحروب الصليبية خير مثال ، وكذا الجرائم البشعة التى تمارس ضد الأقليات المسلمة فى أكثر بلاد العالم من أى مصدر كان ، يندى له جبين الإنسانية فى القرن العشرين ، إن كان له جبين ! ! والحقيقة أننا لا نملك الحق فى أن نثور على مرتكبى هذه الجرائم ضد الأقليات المسلمة ، أو نسخر من الهيئات الدولية كمجلس الأمن ، وهيئة الأمم المتحدة ، التى لا تحرك ساكنا ، ما دامت الأمة المسلمة ذاتها لا تحرك ساكنا ، وما دامت الشعوب المسلمة لا تزال تحت وصاية أنظمتها ، والأنظمة نفسها تحت وصاية القوى العظمى التى تعتبر أعدى أعداء الإسلام والمسلمين ، فهل نفيق ؟

إن أكثريتنا المسلمة بفرقتها صارت أقلية تطالب بحقوق الأقليات المسيحية ، وكم من بلد بها أقليات مسيحية موحدة تملكت رمام الأمور ، وترأست البلاد على الرغم من أنف الأكثرية المسلمة المبعثرة ، فإذا كان هذا حال الأكثرية فكيف بالأقلية ؟ ! !

إن انشغال المسلمين بخلافاتهم الداخلية صرف أنظارهم عن المؤامرات الخارجية التى تدبر لهم ، وإن زحف الأعداء لا يوقفه إلا الإسلام ، وإن ميل الميزان لا يعدله إلا القرآن ، وإن النصر على الأعداء طريقة وحدة الصف : **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾** [1] والحل فى أيدينا لو نفيق من غفلتنا ، ونوحد صفوفنا وجهودنا ، ونعلم من هو عدونا من صديقنا ، فنوالى من والى الله ، ونعادى من عادى الله **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾** [2] .

وكذا قال سبحانه **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى**

(١) سورة الصف : ٤

(٢) سورة آل عمران : ٢٨

أنفسهم نادمين﴾ [1] .

وإن هذا لن يتحقق بكلمات تكتب أو تقال ، وإنما هو أمر فصل ، وما هو بالهزل ، ومن ثم فلا بد من توحدنا أمام الأعداء الذين طالما يختلفون ، ولكنهم أمام الإسلام هم يتفقون، فما أجدرنا بأن نتعلم هذا الدرس ، ولا بد من معرفة مناهج العدو ومخططاتهم ، وإذاعة ذلك على الناس تبصرة لهم، وعلى رأس ذلك تلك الجبهات «الصليبية والصهيونية والماركسية» ثم الجبهات الموالية «علمانية ، وماسونية ، وشيوعية» في بلادنا . فهناك خطة عالمية للقضاء على الأمة الإسلامية ، وعلى المسلمين أن يفيقوا ، وأن يعودوا إلى دينهم عودًا حميدًا، ويجب أن يزول كل ولاء إلا الولاء لله تعالى ولدينه ، ولكتابه ولسنة نبيه ﷺ وللمؤمنين المتمسكين بكل هذا ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[2] .

(١) سورة المائدة : ٥١ ، ٥٢

(٢) سورة المائدة : ٥٥ ، ٥٦

٣ ـ معرفة سبيل الله القويم ، وصراطه المستقيم ومنهاجه العظيم :

قال تعالى: **﴿وأن هذا صراط مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**[(١)].

وهذا أنجح علاج وأنفع دواء لتلك الفرق الضالة التى ضلت عن الحق ، واتبعت الشيطان ، واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى ، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف ، فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبها ، وبالدواء سما ، وبالسبيل الواضح طرقا جرذا ، وسبلا مضلا، وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرق الناس فى مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة ، وأهواء مضله ، فتفرقت الأمة شيعا وأحزابا ، ونهض إبليس يلبس ، ويزخرف ، ويفرق ولا يؤلف ، وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل فلو قد طلع عليه صبح العلم لافتضح ، فلابد من علم يزيل الشبهات ، ويرد على الافتراءات ، ويقمع أهل البدعة ، ويحذر من الفتنة .

لابد من معرفة وافية بوسطة الإسلام التى تنجيك من

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٣

الردى ، ومن الضـلال والاضلال ، وتنـأى بك عن التعـصب والتسيب ، والافراط والتفريط الذى وقعت فيه الفرق الضالة ، وصلى الله على نبينا محـمد وعلى آله وصـحبـه وسلم : إذ جلس مع أصحـابه ، فخط لهم خطا مسـتقيمـا ، وخط حوله خطوطا عن يمينه وشماله ، ثم قـال هذا سبيل الله مستـقيما ، وهذه سبل الشياطين ،على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ، ثم قرأ ﴿وأن هذا صـراطي مـسـتـقـيـما فـاتبـعـوه ولا تتـبعـوا السبل﴾[1].

وبعد العلم بذلك ، لابد من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليكون كالقشرة التى تحافظ على اللب ، ولابد من دعـوة أهل البدع ، أو البـعد عنـهم ، فإن القـرب منهم بدون دعوة منفذ للشيطان ومسلك من مسالكه .

ولا بد من الالتزام بالجماعة ، كما قال ﷺ : «يد الله على الجماعة ، فإذا شذ الشاذ منهم اختطـفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم» [2] .

---

(١) رواه أحمد ، وقـال الشيخ شـاكر : اسناده صـحيح ، ورواه الحـاكم فى المستدرك وصححه ووافقه الذهبى ورواه النسائى .

(٢) رواه الترمذى ، غريب ، كما يقوى بكثرة طرقه .

وقــال ﷺ : «من سره أن يســكن بحبـوحـة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد» [1]

وكذا قال : «عليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» [2] .

وروى أبو داود فى سننه من حديث معــاوية عن أبى سفيان أنه قام فقال: «إلا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتــاب افترقوا على ثنتين وســبعين ملة ، وإن هذه الملة ستـفتـرق على ثلاث وسبعين ، ثنــتان وسبــعون فى النار، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة ، وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتـجارى الكَلَب بصاحبه» [3]

نسأل الله السلامة .

(١) رواه الترمذى بنحـوه ، وقال حسن صحيح غريب . قال : وقد روى هذا من غير وجـه عن عمر ، ورواه الحاكم وصـححه على شرط الـشيخين . ووافقه الذهبى .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) سبق تخريجه .

٤ - الايثار ، والحرص علي مصلحة الدين :

وذلك كعلاج لشيوع الأنانية وحب الذات بين القادة والأمراء، والحرص على الدنيا بين كثير من المسلمين ، ووقوع الشقاق الذى كان يضطرم بين قبائل المسلمين ، والفرقة التى كانت تمزق وحدة المؤمنين ، ولا تسل عن صدى ما وصلت إليه تلك الفرقة وهذه الخلافات بين المسلمين ، إذ وصلت إلى قتل وصلب بين المسلمين ، إرضاء للنفس الأمارة بالسوء ، واشباعًا لشهوة الحاكمين .

إن انشغال المسلمين بخلافاتهم الداخلية ، وتنازعهم على الملك وانهماكهم فى ملذات الدنيا وشهوات النفس ونحو هذا مما شغلهم الأعداء به حتى ابتعدوا عن دينهم ، ودب الضعف فى أوصالهم ، وسيطرت الفرقة على صفوفهم وبذلك رجحت كفة الأعداء عليهم ، وانتهزت فرصة الانقضاض عليهم ، فنالت منهم ، وسيطرت عليهم ، فلما تمكنت قضت عليهم ، وردتهم عن دينهم **﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾**[1].

وهكذا ضاعت دولة المسلمين فى الأندلس ولم يبق إلا

(١) سورة آل عمران : ١١٧

تاريخها ، عبرة لمن تدبر وتعلم ، وأنات الشعراء الذين ورثوها، تهيج مشاعر المسلمين ، وتذكرهم وتحذرهم ، فهل يعتبر المسلمون فى ذلك الحين ؟ ! وقد كثر أخوات الأندلس فى ذلك الزمان

اعندكم نبأ من أهل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
أسرى وقتلى ، فما يهتز إنسان
لم التقاطع فى الإسلام بينكم؟
وأنتم يا عباد الله إخوان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان فى القلب إسلام وإيمان

إن المسلم لا يحرص على الإمارة ، ولا يطلبها ، لأنه من طلبها وكل إليها ، ومن اختير لها أعين عليها ، وقد قال ﷺ: «إنا والله لا نولى هذا العمل أحدا يسأله ، أو احدا يحرص

عليه» (١) .

وفى الحديث : يا عبد الرحمن بن سمرة : لا تسأل الإمارة، فإنك إن اعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وان أعطيتها عن مسألة وكلت إليها»(٢) كما قال صلوات ربى وسلامه عليه : «إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعمت المرضعة ، وبئست الفاطمة» (٣) .

والمسلم لا يحب الدنيا ولا يحرص عليها ، ويسأل الله أن يجعلها فى يده لا فى قلبه .

كما يجب على المسلم أن يكون جنديا لله خفيا وفيا ، لا يريد شهرة ولا وجاهة ، ولا أوسمة ، ولا يذكر اسمه ، بل ان كان فى الساقة ففى الساقة ، وإن كان فى الميمنة ففى الميمنة ، وإن كان فى الميسرة ففى الميسرة ، همه مرضاة ربه ، وغايته : احدى الحسنيين «النصر أو الشهادة» وأمنيته : نصر الإسلام وعز المسلمين ، أما هذا الذى نراه فى واقع المسلمين، فليس من

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى والنسائى وأحمد .

الدين ، وبسببه تتوالى الهزائم على المسلمين .

فعلى المسلم ألا يطلب الإمرة لنفسه ، وألا يزاحم عليها ، وألا ينازع أهلها ، وإذا أعطيها وكان ضعيفا عنها ، فعليه ألا يقبلها إلا إذا تعين لها ، فإذا تعين فقد وجب عليه أن يقوم بحقها ، فإذا تخلف فهو مأزور ، وإذا أدى الذى عليه فيها فإنه مأجور .

٥ - *تحقيق معاني الاخوة الإيمانية ، والعدل في الحكم علي الآخرين :*

إنه لا شيء يؤثر فى هذه الأمة أكثر من أن تؤتى من قبلها ، وتعادى بعضها بعضا ، ويكون عدوها من داخلها ، أو كان يضرب بعضها بعضا ، ويكيد بعضها لبعض ، وأن يكون بأسها بينها .

فمن هذا الباب تؤتى ، وهذه حمية جاهلية عالجها الإسلام بأخوة إيمانية لن تعرف الدنيا لها مثيلا ، أخوة فاقت حدود النسب والمصاهرة والقبلية والشعوبية والقومية والأبوة والبنوة ، وكل رابطة عدا عن رابطة الإيمان انطلاقا من مبدأ واحد وهو عقيدة المسلم من الإيمان بالله ، ومحبته وطاعته وإفراده بالعبادة

والسعى إلى هدف واحد هو إقامة دين الله على الوجه الذى يرضيه ، والالتزام التام بالإسلام ، والتعاون على البر والتقوى ، والتناصح والتشاور ، والتراحم والتكافل ، والتباذل والإيثار ، وكف الأذى وافشاء السلام ، وحسن الخلق ، والتصافح والتسامح ، والمحبة فى الله تعالى .

وكذا سائر مقومات الأخوة الإسلامية ، التى ارتبطت بالإيمان ، فلا إيمان بلا أخوة ، ولا تدوم أخوة بلا إيمان ، قال تعالى : **﴿إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم** . . . . إلى قوله تعالى : **إن الله عليم خبير﴾** [1] .

إن المسلم لا يتعصب لقوميات أو رايات أو جاهليات فإن تعصب لشىء فللحق ، وإن انتصر لراية فلراية التوحيد ، وإن رفع شعارًا ، فشعاره **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾** [2] . وإن أراد الولاء فهو لله

---

(١) سورة الحجرات : ١٠ - ١٣

(٢) سورة فصلت : ٣٣

ولرسوله وللمؤمنين، ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾[1]. ولا يضيره بعد ذلك أن يكون في جماعة كذا أو جمعية كذا ، أو مدرسة كذا .

فالإسلام يسع تلك المدارس أو الفصائل أو الجماعات ، ما دامت مستمدة منهجها من منهج الإسلام وتعمل في خدمته ، والتمكين له في الأرض ، وفقًا لتحديد الأهداف وترتيبها ، وتحديد الوسائل ومراحلها ، ولست من السذاجة بحيث أدعو إلى جماعة أو حركة واحدة تضم جميع العاملين للإسلام في نظام واحد ، وتحت قيادة واحدة ، فهذا تقف دونه عوائق شتى، وهو طمع في غير مطمع .

وأكرر أنه لا مانع من تعدد الفصائل والجماعات العاملة لنصرة الإسلام ، إذا كان تعدد تنوع وتخصص ، لا تعدد تعارض وتناقض ، على أن يتم بين الجميع قدر من التعاون والتنسيق ، حتى يكمل بعضهم بعضًا ، ويشد بعضهم أزر بعض ، وأن يقفوا في القضايا المصيرية ، والهموم المشتركة ، صفًا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص .

---

(١) سورة المائدة : ٥٥

ولكن الذى يدمى القلب حقًا أن يوجد بين الدعاة والعاملين من لا يقدر هذا الأمر حق قدره ، وأن يبذر بذور الفرقة أينما حل ، وأن يبحث عن كل ما يوقد نيران الخلاف ، ويورث العداوة والبغضاء ، وتركيزه دائمًا على مواضع الاختلاف ، لا نقاط الاتفاق ، وهو دائمًا معجب برأيه ، مزك لنفسه وجماعته، متهم لغيره .

والحق أن الاختلاف فى ذاته ليس خطرًا ، وخصوصًا فى مسائل الفروع ، وبعض الأصول غير الأساسية ، إنما الخطر فى التفرق والتعادى الذى حذر الله ورسوله منه .

ماذا يضير الجماعات العاملة في الساحة وهي تختلف في مثل الآتي :

كيفية الاصلاح ، وبدايته ، ووسيلته ، ونحو هذا ، والخلاف فى فروع الفقه ، والفقه السياسى والدستورى فيقال ، أنبدأ بالقمة أم بالقاعدة ؟ بالحاكمية أم بالعقيدة ؟ بالعنف أم الرفق؟ أنعطى الأولوية لأهل المساجد ، أم للغافلين من أهل المقاهى ودور اللهو ؟ أنخوض المعارك الانتخابية ، أم نعتزل تلك المجالس الجاهلية ؟ أنركز على التربية أم الجهاد ؟ هل

يصلح التدرج في التغيير ؟ هل يجوز تعدد الحركات العامله للإسلام أم لا ؟ .

لقد عايشت الجماعات الإسلامية التى تعمل على الساحه ، فوجدت كل واحدة منها تقف على ثغر من ثغور الإسلام ، وتؤدى دوراً تعجز الأخرى عن أدائه ، فأنا قد أنجح فى اعطاء درس أو محاضرة ، ولكن قد أفشل فى جمع الناس له ، فى حين يوجد آخر يؤدى هذا الدور بإحكام .

والإسلام يراعى ميول النفس ، ويحترم التخصص . وليس المتخصص فى العقيدة كالمتخصص فى الفقه ، ولا المتحدث فى التفسير كالمتحدث فى الحديث ، فقد ينجح الإنسان فى لون دون آخر .

وهكذا الجماعات التى تعمل فى الساحة ، فجميعها يمثل إسلامها ، ومجموعها هم المسلمون ، ولكن الخطأ الفادح أن تظن كل جماعة أنها هى جماعة المسلمين ، وإمامهم منهم ، وما سواهم ليسوا على شيء ! !

إننى أعد الجماعات القائمة فى الساحة الآن ـ بخلاف التصوف والتكفير ـ أشبه ما تكون بمدارس كمدارس التربية

والتعليم ، مرحلة ابتدائية ، واعدادية ، وثانوية ، ثم الجامعة بفروعها وتخصصاتها الشتى .

فمنهم من يأتي بالمسلم إلى المسجد ، ومنهم من يعلمه العقيدة الخالصة ، ومن يدعوه إلى السنة ، ومن يربيه بمنهج الإسلام الخالص ، ومن يعده للجهاد ، ومن يكلفه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن يفهمه شمولية الإسلام ، ويعده لإقامة دولة مسلمة ، وهكذا فمن من هؤلاء هو الإسلام وحده ؟ إنهم جميعًا يمثلون الإسلام مجتمعين ، لا متفرقين .

٦ - *الالتزام بأدب الخلاف ، مع الانصاف* :

إن الاختلاف فى ذاته ليس خطرًا ، وخصوصًا فى مسائل الفروع والجزئيات ، كما بينا . وإنما الخطر فى التعصب الأعمى فى الخلاف المؤدى إلى التفرق والتعادى ، وكذا فى عدم معرفة أدب الخلاف أو فى الاجحاف وعدم الانصاف ، وكذا بالتعصب لأقوال الأشخاص والمذاهب والطوائف ، مع سوء الظن بالآخرين ، والطعن والتجريح للمخالفين ، وعدم الثقة فى أقوال أئمة الفقه فى الدين ، ولذلك فنحن المسلمين عامة ، والحركة الإسلامية ـ بمختلف اتجاهاتها ومدارسها ـ خاصة ، فى

حاجة إلى وعى عميق ، وفهم دقيق ، لما نسميه «فقه الاختلاف» ، و«أدب الخلاف» .

والذى عرفه خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ، فلم يضرهم الاختلاف العلمى شيئًا ، وجهلناه فأصبحنا يعادى بعضنا بعضا ، بسبب مسائل يسيرة ، أو بغير سبب ! !

وإنما تقع الفرقة بين المسلمين بسبب من الأسباب الأخلاقية، التى نعالجها من خلال هذا البحث ، كما سبق أن بينا أن الاختلاف فى الفروع ضرورة ورحمة وسعة وثروة علمية كذلك. وأن هذا الخلاف له أسبابه العلمية التى اقتضته . ولله سبحانه فى ذلك حكمة بالغة .

وهذا الاختلاف الفقهى ليس نقيصه ولا تناقضا فى ديننا ، ولا يمكن أن لا يكون ، فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعى كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهى الاجتهادى .

ولذلك وجب تجنب القطع فى المسائل الاجتهادية التى تحتمل وجهين أو رأيين أو أكثر، وكذلك تجنب الإنكار على الآخرين ، ولهذا قرر علماؤنا إنه لا إنكار من أحد على أحد فى المسائل الاجتهادية، فالمجتهد لا ينكر على مجتهد مثله،

والمقلد لا ينكر على مقلد مثله كذلك فكيف ينكر على مجتهد.

ولابد من ضرورة الاطلاع على اختلاف العلماء الذى يساعد على التسامح وتبادل العذر فيما اختلف فيه ، ومن أجل ذلك أكد علماؤنا فيما أكدوه على وجوب العلم باختلاف الفقهاء كوجوب العلم بما أجمعوا عليه ، فإن اختلافهم رحمة ، واتفاقهم حجة ، وفى هذا قالوا : من لم يعرف اختلاف العلماء فليس بعالم ، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه . وآفة كثير من الدخلاء على العلم أنهم لا يعرفون إلا رأيا واحدا، ووجهة واحدة ، أخذوا عن شيخ واحد، أو انحصروا فى مدرسة واحدة ، ولم يتيحوا لأنفسهم أن يسمعوا رأيا آخر ، أو يناقشوا وجهة نظر مخالفة ، أو يحيلوا أنظارهم في أفكار المدارس الأخرى «إنه يجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه» والتسامح فى المختلف فيه يحتم احترام الرأى الآخر ، وإمكان تعدد الصواب، وحتمية الاختلاف .

وفيما سبق أن ذكرناه عن معنى الخلاف وأقسامه ونشأته ، وأسبابه ، ووجوب أدب الخلاف فيه ، مزيد لذلك ، لمن أراد التوسع .

٧ - علم نافع مع فهم شامل يفرق بين القطعيات والظنيات ، وبين الثابت والمرن :

فإن طبيعة هذا الدين ، أن الله تعالى أراد أن يكون فى أحكامه المنصوص عليه ، والمسكوت عنه ، وأن يكون فى المنصوص عليه المحكمات والمتشابهات ، والقطعيات والظنيات، والصريح والمؤول ، لتعمل العقول فى الاجتهاد والاستنباط ، فيما يقبل الاجتهاد والاستنباط ، وتسلم فيما لا يقبل ذلك إيمانا بالغيب ، وتصديقا بالحق ، وبهذا يتحقق الابتلاء الذى بنى عليه خلق الإنسان ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾[1].

ولو شاء الله لجعل الدين كله وجها واحدا وصيغة واحدة ، لا تحتمل خلافا ، ولا تحتاج إجتهاد ، من حاد عنها قيد شعرة فقد كفر ، ولكنه لن يفعل ذلك ، لتتفق طبيعة الدين مع طبيعة اللغة ، وطبيعة الناس ، ويوسع الأمر على عباده .

أجل لو شاء الله تعالى أن يتفق المسلمون على كل شيء ، ولا يقع منهم اختلاف فى شيء ولو كان فرعا من الفروع ، أو

---

(١) سورة الإنسان : ٢

أصلًا من الأصول غير الضرورية ، لأنزل كتابه كله نصوصًا محكمات قاطعات الدلالة ، لا تختلف فيها الأفهام ، ولا تتعدد التفسيرات ، ولكنه جل شأنه أراد أن يكون فى كتابه المحكمات - وهن أم الكتاب ومعظمه - وفيه المتشابهات - وهى أقله - وفى ذلك ابتلاء من ناحية ، وشحذ للعقول لتجتهد من ناحية أخرى، كما وجد فى القرآن ما هو قطعى الدلالة ، وما هو ظني الدلالة ، وما هو قطعى الثبوت ، ظني الولالة ، وما هو ظنيهما، فيجب تصحيح النظرة ، وتقويم الأفكار ، ومعرفة الدين على بصيرة ، وفقهه على بينة ، مع سلامة المنهج فى فهم الإسلام حتى لا نميع جامدًا ، ولا نجمد مرنا ، ولا نجعل الثابت متغيرًا ، أو المتغير ثابتًا ، فمن هنا يؤتى الإسلام ، وإنما نؤتى من قبلنا .

كما أن معرفة الشريعة لا تتم بمجرد معرفة نصوصها الجزئية متفرقة متناثرة ، مفصولا بعضها عن بعض ، بل لابد من رد فروعها إلى أصولها ، وجزئياتها إلى كلياتها ، ومتشابهاتها إلى محكماتها ، وظنياتها إلى قطعياتها ، حتى يتألف منها جميعًا نسيج واحد مرتبط بعضه ببعض ، متصل لحمته بسداه ، ومبدؤه بمنتهاه .

وكذلك فهم مقاصد الشريعة على كمالها ، وكذا التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها ومعرفة مراتب الأحكام الشرعية ، وأنها ليست في درجة واحدة من حيث ثبوتها ، وبالتالي من حيث جواز الاختلاف فيها والحكم على صاحبها ، فهذا باب واسع ، وهو كذلك منزلق خطير لمن لا يحسن فهمه ومعرفته .

٨ - تصحيح المفاهيم الخاطئة ، وتحديد المصطلحات، وتحري الحق والصواب :

قال تعالى : ﴿**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ [١] .

إن مشكلة عدم وضوح المنهج مشكلة خطيرة تؤدى بالإنسان إلى الغلو أو الانحراف ، وكلاهما مرفوض شرعًا مهما كانت الأسباب والمسوغات ، وكذا التحريف والتأويل الفاسد ، والتدين المغشوش ، ولذلك وجب تنقية التراث الإسلامى مما دخل عليه ، أو شابه من تأويل فاسد لآية ، أو تحريف معنى حديث ، أو تضليل فى مبدأ ، أو تزوير فى حقائق ، أو

(١) سورة يوسف : ١٠٨

تناقض في أدلة ، حتى نمنع ردود الفعل ، ونأخذ بيد الجيل المسلم ، ونرشد أبناء الصحوة .

لقد أصبح هذا الأمر ضرورة شرعية ، ومسئولية دينية على العلماء العاملين العدول ، الذين ورد الخبر عنهم «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين» (١) فهذه مسئولية أهل العلم أن يبينوا ولا يكتموا ، ويصححوا ولا يحرفوا ، ويحققوا ولا يجاملوا ، والحق أحق أن يقال ، وأحق أن يتبع .

ومما يحزن ويؤسف له أن كثيرًا من العلماء ، بل مؤسسات دينية لها أهميتها وعراقتها ، لم تعد قادرة على القيام بهذه المهمة المنشودة منها ، ما لم تترك المجاملة ومداهنة السلطات .

---

(١) ورد عن بعض الصحابة كأبي هريرة ومعاذ بن جبل وابن مسعود وأسامة ابن زيد ، وورد عن بعض التابعين ، وقد رواه الخطيب البغدادي في الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع وخرج الطبراني بعض طرقه في الجامع الكبير وغيره وابن أبي حاتم ، واختلف العلماء في صحته ، فصححه البعض كالإمام أحمد وابن عبد البر ، وضعفه آخرون كالعراقي . والحديث وإن كان ضعيفًا في جميع طرقه إلا أن معناه صحيح بلا شك ، وقد ذكرته للمعنى المراد منه .

ذلك أن المؤسسات الدينية الكبرى فى عالمنا الإسلامى تستطيع أن تسهم بدور إيجابى فى توعية الشباب وتصحيح المفاهيم ، فإن فى أزهرنا الشريف صفوة من العلماء يستطيعون القيام بهذا الواجب بتنقية كتب التفسير والحديث ، الفقه والتاريخ وغير ذلك ، كما فعله أسلافهم ، وإن كانت جهوداً فردية ، لم يعرفها إلا أهل العلم خاصة [1] .

إن كثيراً من الشباب المسلم اختل الميزان عنده لكثرة ما يسمع فى القضية الواحدة من آراء ، وما يذكر فيها من أدلة يعارض بعضها بعضًا ، مع أن القضية من جنس الأصول الذى لا يقبل إلا الرأى الواحد ، والحق فيها لا يتعدد ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ ؟ [2] .

فلابد من مفاهيم شرعية خالصة مصفاة ، لا تتغير بتغير النفوس والأحداث والحكومات ، ولابد من تخريج أجيال من العلماء فاقهين لدينهم ، بصيرين بعصرهم من ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ [3] إن هذ

---

(١) مثل كتاب : الإسرائليات والموضوعات فى كتب التفسير د / محمد شهبه «والرسائل العلمية فى الحديث والتفسير» وراجع كتابنا «آيات مظلومة» مع سلسلة تصحيح المفاهيم الخاطئة .

(٢) سورة يونس : ٣٢

(٣) سورة الأحزاب : ٣٩

النوع البصير من علماء الدين ، الذين يصححون المفاهيم ، ويجمعون بين البصيرة والتقوى ، وتحرى الحق والوسطية ، والتحذير مما ليس بدين ، هو الذى تحتاج إليه مجتمعاتنا اليوم، وهو القادر على أن يقوم بمهمته فى ترشيد الصحوة ، وجمع الكلمة ، ووحدة الصف المسلم .

٩ - الاخلاص والتجرد من الأهواء ، واحترام رأي الآخرين :

إذا كان من الآفات التى فرقت كلمة الأمة ، اتباع الهوى واعجاب كل ذى رأى برايه .

فإن من الدعائم المهمة هنا فى علاج الفرقة ، وتقريب الشقة، وتقليل حدة الخلاف أن يوصف المسلم بالاخلاص لله وحده ، والتجرد للحق ، ومجاهدة النفس حتى تتحرر من اتباع هواها أو أهواء غيرها . وكذلك باحترام الرأى المخالف وتقدير وجهات نظر الآخرين ، واعطاء آرائهم الاجتهادية حقها من الاعتبار والاهتمام .

فكثيراً ما تكون الخلافات بين الأفراد والفئات . ظاهرها أنه خلاف على مسائل فى العلم ، أو قضايا فى الفكر ، وباطنها

- ب الذات ، واتباع الهوى الذى يعمى ويصم ، ويضل عن سبيل الله .

وإن كانت تغلف بالحرص على مصلحة الإسلام أو ا. ماعة، أو غير ذلك مما قد يدق ويخفى حتى على الإنسان ؛ سه ، فيزين له سوء عمله ، فيراه حسنا .

ولقد حرصت التربية الإسلامية ، القرآنية و نبوية ، على تك ين الإنسان المؤمن ، الذى يجعل غايته رضا ا. نالق . لاثناء المخلوق ، وسعادة الآخرة ، لا منفعة الدنيا ، و يثار ما عند الله على ما عند الناس ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [1] لابد من التربية والتصفية ، بخلو النفوس من أغراضها، والقلوب من أمراضها ، حتى تتحد الأمة على كلمة سواء .

إن المسلم الحق هو الذى يكون عبدًا لله ، لا عبدًا لذاته ، فحيث وضع عمل ، وحيث وجه توجه ، فى الأمام أو فى الخلف ، قائدًا أو جنديًا ، دون تطلع إلى منصب ، أو دنيا . حريصًا على أن يكون من الأبرار الأتقياء الأخفياء ، إنه ينبغى

(1) سورة النحل : ٩٦

أن يتحرر المرء من تعصبه لرأيه الشخصى بحيث يتنازل عنه متى ظهر له خطؤه ، ولا يظل مصرًا عليه ، أو متمسكًا به ، مدافعًا عنه ، انتصارًا للنفس ، ومكابرة للغير ، واتباعًا للهوى، وخوفًا من الاتهام بالقصور أو التقصير .

ورضى الله عن الإمام الشافعى الذى قال : والله ما أبالى أن يظهر الحق على لسانى أو على لسان خصمى . وعندما احترم الرأى الآخر فقال : رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

وهذا من انصاف الشافعى ، وسعة علمه ، ورحابة أفقه ، فتقريب المسافات بين الطرفين أمر مطلوب ، وامكان تعدد الصواب أمر وارد ، ولابد من التحرر من أسر التعصب ، والاعتراف بالخطأ ، والشجاعة على نقد الذات ، والترحيب بالنقد من الآخرين ، وطلب النصح والتقويم منهم ، والاستفادة مما عند الآخرين من علم وحكمة ، والثناء على المخالف فيما أحسن فيه ، والدفاع عنه إذا اتهم بالباطل ، أو تطاول عليه أحد بغير حق، ومعرفة الفضل لأهله ، والبعد عن المراء واللدد فى الخصومة والحوار بالتى هى أحسن ، ومعرفة الحقيقة، والانضباط بضوابط الشرع ، واحسان الظن بالآخرين،

وعدم تزكية النفس ، واتهام الغير . بل المؤمن يتـهم دائما نفسـه ، ولا يتسامح معها، ولا يبرر لهـا خطأها ، بل يغلب عليه شعور التفريط فى جنب الله ، والتقـصير فى حقوق عباد الله ، حتى وهو يعمل الخير ويجتهد فـى الطاعة ويـلتمس المعذير لخلق الله ، وخصوصًا لاخوانه والعاملين معـه لنصرة دين الله .

١٠ - *القدرة على مواجهة الأعداء بسلاح العلم والمعرفة :*

وهذا فى مواجهة الشبهات والافتراءات التى يزج بها أعداء الإسلام ، ويتهمون بها الإسـلام ، وإذا كان دورهم هو تاليمها وصيـاغتهـا أو كتابتـها ، فإن أذنابهم من المسـتغربين يقـومون بالدور الأكبر فـى نشرها ، وبثها ، والدفاع عنـها ، والترويج لها فى كل مقال ومجال .

هذا ومعرفتنا بهذه الشبـهات أو الرد عليها ، ليس معناه أننا ندافع عن الإسلام ، لأن اعتبار الإسلام متـهما ينبغى أن تتبرى أقلامنا للدفاع عنه هو منهج خاطىء يجب الابتعاد عنه .

لأن النظام الربانى لا يحتاج إلى دفاع البشر عنه لتبرئته من التهم ، ولا إلى إعلان براءته مما يتهمه به الناس ، ويكون نقصا فى عقيدتنا إن ظننا لحظة واحدة أن دين الله محتاج إلى تبرئة ساحته بكلام يقوله البشر من عند أنفسهم .

إنما يحتاج الناس دائما إلى بيان حقائق الإسلام لهم ، وتوضيح ما أشكل عليهم ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ (1) .

وكذلك بذكر أباطيل أعداء الإسلام ، وكشف زيفهم ، وفضح مخططاتهم ، واستبانة مؤامراتهم . ﴿**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**﴾ (2) .

فالمنهج الصحيح إذن هو بيان حقائق الإسلام للناس ، فهم فى حاجة دائمة إلى هذا البيان فى كل جيل من أجيالهم ، وفى الأجيال المعاصرة خاصة ، التى أصبح الإسلام غريبًا بينها من شدة جهلها بحقائقه .

ولا بأس ـ فى أثناء بيان حقائق الإسلام ـ أن نقف عند

(1) سورة النحل : ٤٤

(2) سورة الأنعام : ٥٥

شبهة ترد فى أذهان الناس من عند أنفسهم بسبب عدم المعرفة ، أو يثيرها الأعداء ليفتنوا بها المسلمين عن دينهم ، فتجلى هذه الشبهة ببيان الحقيقة فيها ، واظهار جمال الإسلام ، وحكمة الملك العلام .

لقد وضع الغرب مخططا لتشويه تعاليم الإسلام ومسخ نظام حياته ، مما شوه حقيقته فى نظر غير المسلمين بل وبعض المسلمين كذلك ، وقد صنعوا منه صورة بغيضة منفرة ، فما من قضية من قضاياه إلا وقد تناولوها بالسخرية واللمز والاستهزاء .

وعلاج ذلك بالعلم والمعرفة التى ترد إفك المبطلين ، وخرص الكاذبين ، وتسد ذرائع الفساد ، وتبين مصالح العباد . وتكون جوابا كافيا وعلاجا شافيا ، وتنصب الأدلة على وضوح الحق برهانا مبينا ، وتوضح السبيل بالمعرفة حقا يقينا وتسوق الحقائق مجردة عن أهواء المغرضين ، وأكاذيب المدلسين ، وتكشف عن حقيقة الإسلام فى سماحته ، وحسن سياسته ، ويفضح أهل الباطل ، ويرد على زيف شبهاتهم ، ويوضح حقد نفوسهم وغل صدورهم

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

١١ - اتبـــاع المنهج الوسط ، وترك التنطع في الدين :

ومما ينبغى الحرص عليه لتوحيد صف الداعين إلى الإسلام، أو - على الأقل - تقريب الشقة وإزالة الجفوة بينهم . اتباع المنهج الوسط ، الذى يتجلى فيه التوازن والاعتدال ، بعيدًا عن طرفى الغلو والتفريط ، والشطط والبخس ، فهذه الأمة أمة وسط فى كل شيء ، ودين الله - كما أثر عن السلف - بين الغـالى فيه ، والجافى عنه .

ومن كلمـات الإمام على رضى الله عنـه ، «عليكم بالنمط الأوسط ، يلحق به التـالى ، ويرجع إليه الغالى» . فالوسط هو مركز الدائرة التى ترجع إليه الأطراف المتباعدة عن يمين وشمال.

وهو يمثل الصراط المستقيم ، الذى علمنا الله تعالى أن نسأله الهدايـة إليه كلمـا قرأنا فاتحة الكتاب فى صـلواتنا اليومـية أو خارجها ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [١] وهو الذى جاء فيه قوله تعالى ﴿وهذا صراط ربك مستقيما﴾ [٢] .

---

(١) سورة الفاتحة ٦

(٢) سورة الأنعام ١٢٦

وهو الذى أوصانا الله تعالى أن نتبعه فتتوحد كلمتنا ، ولا نتبع السبل والمناهج التى يدعو إليها شياطين الإنس والجن ، مما صدر عن الغرب أو الشرق ، ومال إلى اليمين أو اليسار ، قال تعالى فى ختام الوصايا العشر من سورة الأنعام **﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾** [1] . وقال تعالى : **﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** [2] ونحو هذا فى القرآن .

قال ابن عباس : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبر أنه إنما هلك من قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله . ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد .

ومما يلزم اتباع المنهج الوسط هو تجنب التنطع فى الدين ، وهو ما أنذر النبى ﷺ أصحابه بالهلاك ، فيما رواه عنه ابن مسعود رضى الله عنه قال : «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا [3] سواء أكان هذا القول إخبارا عن هلاكهم أم دعاءً عليهم . والمتنطعون كما قال النووى : المتعمقون الغالون المجاوزون

---

(1) سورة الأنعام : ١٥٣

(2) سورة الشورى : ١٣

(3) رواه مسلم .

الحدود فى أقوالهم وأفعالهم . ومنه الغلو فى العبادة ، والاسترسال مع الشيطان فى الوسوسة ، والتعنت فى السؤال ، والاكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها فى كتاب ولا سنة، وكذا البحث عن أمور معينة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها ، ومنه ما لا يكون له شاهد فى عالم الحس ، وكذا الاكثار من السؤال حتى يفضي بالمسئول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتى بالإذن ، وكل هذا من الحرج الذى نفاه الله عن هذا الدين القائم على التيسير لا التعسير ، والتبشير لا التنفير ، روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : إياكم والغلو فى الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين" [1] وكذلك يجب البعد عن التسيب والتفريط ، فكلاهما هلاك وندامة ، ويجب عدم التسرع فى الأحكام ، أو تكفير المسلمين بل اتباع القرآن والسنة، بفهم سلف الأمة ، والسير على صراط مستقيم، بمخالفة أصحاب الهوى والجحيم .

(١) رواه أحمد والنسائى وابن ماجة والحاكم وابن خزيمة وابن حبان عن ابن عباس ، كما فى صحيح الجامع الصغير .

١٢ - العمل على إعادة الخلافة الراشدة ، وتحكيم شريعة الله :

فالإسلام خير نظام على الأرض ، وإن موقعنا التاريخى والجغرافى والدولى يجعل الإسلام هو طريقنا الوحيد إلى العزة والكرامة والعدالة الاجتماعية ، ولكن كيف السبيل إلى تحقيق الإسلام اليوم فى عالم معاد للدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج ؟

إنه لن توجد إلا سبيل واحدة لكل دعوة على الأرض . . الإيمان .

وإن غياب الإسلام عن العالم لا يبقى معه شىء فى محله، لأن الإسلام هو الأصل الربانى الوحيد ، والصحيح السليم عن الانحراف والتحريف ، وهو وحده الذى تستطيع البشرية أن تفىء إلى ظله ، وبدونه فإن كل شىء يضيع .

إن طريقنا لاصلاح أخطائنا ، ونصرتنا على عدونا ، إنما هو بالعودة إلى نظام الإسلام ، وحكم الإسلام ، وشريعة الإسلام، إن شريعة الإسلام من عند الله ، اختصها الله عز وجل بخصائص ليست للمقارنة ، فهى شريعة لها الكمال

منزهة من كل نقص أو عيب أو قصور ، أو جهل أو هوى أو تعصب ، بل هى عامة ، شاملة ، كاملة ، عادلة ، دائمة ، شريعة ربانية تتفق مع الإنسانية ، وتتناسب مع الواقعية ، وترتقى بهم إلى المثالية ، وتتجمل بالوسطية ، وتزدان بالعالمية ، شريعة قامت على العدل المطلق ، والعلم المطلق ، لها ضوابط ، متزنة ، متطورة وليست جامدة ، ومبادؤها عامة ثابتة فهى بين الثبات والمرونة ، ثم هى مسك الختام ، فهى الشريعة الخاتمة لما سبق ، والمنظمة لما يلحق ، والمهيمنة على ما نزل وما بقى .

والبشرية اليوم فى حاجة إلى حضارة جديدة ، لها فلسفة ورسالة غير فلسفة الحضارة الغربية ورسالتها ، ولن تكون هذه الحضارة إلا حضارة الإسلام ، ولا هذه الرسالة إلا رسالة الإسلام .

رسالة تعطيها الدين ولا تفقدها العلم ، وتعطيها الإيمان ولا تسلبها العقل ، وتعطيها الروح ولا تحرمها المادة ، تعطيها الآخرة ولا تحرم عليها الدنيا ، تعطيها الحق ولا تمنعها القوة ، وتعطيها الأخلاق ولا تسلبها الحرية .

فحــلول مشــاكلنا ، والسبـيل إلى نصرنا وعـزنا . وطريق وحدتنا وقوتنا فى الإسلام ، فمـا أجدرنا بأن نتحد لنصرة ديننا فالإسلام خيـر نظام ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولهـا ، وإن الخلافـة لا تأتى هكذا بين عـشيـة وضحـاها فطريقنا ليس مفروشا بالزهور والورود ، بل هو ملىء بالأشواك والعقـبات ، ولابد من تضحـيات كثـيرة ، كتلـك التى بذلها المسلمون الأوائـل ليقنعوا العـالم بما فى الإسلام من خـير . إن أمامنا العرق والدماء والدموع ، ولابد لكل دعوة من تضحية ، ولابد للنصر من تضحيـات ، وللجهاد من إعداد ، وإن رحلة الألف مـيل تبدأ بـخطوة ، وإن أول الغيث قطـر ثم ينهمـر ، **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾** [١] .

(١) سورة الحج : ٤٠

« عوامل وحدة المسلمين »

نظم / **عمو بن عبد العزيز**

يا من تـريد توحـيـد الملـك الديان
وحــدة أمــة الـنبى الـعــدنان
افـهم عـنى مـا أقـول ، فـإنى أريد
أن اختـصـر لك الأمـر مع البـيـان
أولاً عليك بمخـالفــة عــدوك
الـلدود ، ألا وهـو الشـيـطـان
ثم تعـرف على وسـائل أعـدائك
ومـخطـطات أوليـاء الشـيطان
يهود ونصارى ومن علـى شاكلتهم
ممن يحـاربون ديـن الرحــمن
فواجب عداؤهم، وحـرام موالاتهم
فموالاتهم كفر وخروج عن الإيمان

وعليك بمعرفة سبيل الله القويم

وصراطه المستقيم، والبعد عن الدوران

والزم الإيثار والحرص على مصلحة الدين

وإياك والتنازع على الملك وكذا العدوان

واحرص على تحقيق معانى الأخوة

والعدل، واحذر من الظلم والطغيان

وكن ملتزما بأدب الخلاف منصفا

ولا تكن مجحفا متعصبا لإنسان

ولذ بعلم نافع مع فهم شامل

تصحح به فهما خاطئا فى كل أوان

وتفرق به بين قطعى محكم، وآخر

ظنى مشتبه، حتى لا تكن كالحيران

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٢

(١) سورة الشورى : ١٣

فهناك فى دين الله ما هو جامد
صلب راسخ رسوخ البنيان
وفيه ما هو مرن متطور يقبل
الاجتهاد ، والزيادة مع النقصان
وهذا العلم ترد به شبهات
أهل الكفر التى فرقوا بها أهل الإيمان
وكن على دراية بمخططاتهم وحبائلهم
وعليك أن تواجههم بالعلم والعرفان
وهذا أمر واجب فى دعوتهم
قبل مقابلتهم بالسيف والسنان
واتبع المنهج الوسط ، واترك
التنطع فى الدين فليس من الإيمان
واجتنب الافراط والتفريط وكذا
الغلو والتسيب وفعل الرهبان

وكن مخلصـا، متجـردا من الهوى
وحظ النفس والبحث عن السلطان
نق القلب مـن أمـراضـه ، والنفس
من الأغـراض ، تكن ذا إحـسـان
واعمل على إعادة الخلافة الراشدة
كـمـا بشـرنا بذلك الـنبى العـدنان
واعلم بأنه لاصـلاح لنا ولا فـلاح
إلا بتـحكيم شـريـعـة الملك الديان

الخاتمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، واقتفى أثرهم ، واتبع منهجهم إلى يوم أن نلقاه .

وبعد

فهذا الكتاب تناول قضية بالغة الأهمية والخطورة ، وإن كنت أعلم أننى لست أول من كتب فيه ، وربما لست الأخير كذلك ، فهذه القضية قد تناولها علماء وعظماء من القدامى والمحدثين ، أردت أن اختصر ما كتبوه ، والخص ما قالوه ، لأقدم وجبة جاهزة للشباب المسلم الذى طالت حيرته ، وكثرت خلافاته ، وتناسى مسئولياته فلعل الله عز وجل يهدى به إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

يا شباب الإسلام : إن عزكم فى هذا الدين ، ومهما ابتغيتم العزة فى غير الإسلام أذلكم الله .

وإن طريق النصر بوحدة الصف ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ [1] .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٢

وقد أمرنا الله تعالى أن نقيم هـذا الدين ، بعيدا عن الفرقة ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [1] .

وحذرنا من مغبة الفرقة والاختلاف ﴿إن الذين فرقـوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء﴾ [2] .

يا شباب الإسلام : إننا نريد أن نقف صفًا واحدًا ، لتحديد قضايا الأمـة المصـيرية ، ولمعـرفـة همـوم الدعوة الكبـرى ، ولتحقـيق الأهداف العظمى ، ولمواجهـة العـدو المشتـرك ، وللوقوف أمام قوى الشر المعادية لنا ، والمتربصة بنا ، إننا نريد تطبيق شريعتنا ، وتحرير أرضنا ، واسترجاع مقدساتنا ، ونشر إسلامنا ، وعودة عزنا ومـجدنا ولن نستطيع أن نفعل من ذلك شيـئًا ، نقدمه لديننا ودنيانا . ونحن أمة مبعثرة القـوى ، مشتتة الجنود ، موزعـة الجهود ، بأسـهابينها شـديد ، لا تبدىء ولا تعيد ، ومجدها مفقود ، وكلامها مردود ، ورأيها غير سديد،

ويقـضـى الأمـر حين تغـيـب تيم
ولا يسـتـأذنون وهم شـهـود

(1) سورة الشورى : ١٣

(2) سورة الأنعام : ١٥٩

ولو أنها توحدت وتراحمت وتعاونت واتفقت وتناسقت ، وابتعدت عن الفرقة والتشاحن ، والتناقض والتخاذل لشقت طريقها ، وانتصرت على عدوها ، واستعادت عزها ومجدها ، وأقامت حضارتها ، وتوحدت كلمتها ، وقويت الأمة فى سياستها واقتصادها ، وحسنت أخلاقها ، وزكى إعلامها وتعليمها ، ويأس عدوها منها ، وانتشر دينها ، وقوى بوحدتها ضعيفها ، وعطف غنيها على فقيرها ، وتماسكت لبناتها ، ولم يسهل تحطيمها ، وازدادت قوة على قوتها ، فيتحقق فيها حديث النبى ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه ﷺ» [(١)] وقوله عليه الصلاة والسلام : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» [(٢)] .

فيا عباد الله : إن الوحدة هى الكفيلة لنشر روح المحبة والإخاء بين أبناء الأمة الإسلامية ، ويحرم الإسلام أشد التحريم إثارة العداوة والبغضاء بين جماعة المؤمنين ، يقول

---

(١) رواه البخارى .
(٢) متفق عليه .

ﷺ إياكم وسوء ذات البين ، فإنها الحالقة ، لا أقول الحالقة التي تحلق الشعر ، وإنما تحلق الدين» [1] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه» [2] .

فكيف بمن يقاتل اخوانه المسلمين «من حمل علينا السلاح فليس منا» [3] .

إننا بحاجة ماسة إلى جمع شملنا وتوحيد كلمتنا ، وأن نتجاوز تلك الأحقاد والضغائن والإحن التي تحول دون هذه الوحدة المنشودة ، قال تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون اخوة

---

(١) رواه الترمذي وقال صحيح غريب .

(٢) رواه مسلم بنحوه .

(١) رواه مالك وأحمد والنسائي وابن ماجة والدارقطني .

فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [1] .

وفيم الاختلاف وقد وضحت القضية لكل ذى عينين ، والمرجع فى كل خلاف معروف **﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾** [2] .

إننا نريد الاتفاق لا الافتراق ، والائتلاف لا الاختلاف ، والتعاون على الخير ، لا التهاون فى الشر . **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** [3] .

إن الاتحاد والوحدة كذلك عصمة من التهلكة ، فالفرد وحده يمكن أن يضيع ، ويمكن أن يسقط فريسة لشياطين الإنس والجن، ولكنه فى الجماعة محمى بها «إن الشيطان ذئب الإنسان، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» [4] . بل وكذلك الدول والدويلات ، كما قيل «أكلت يوم أكل الثور الأبيض» .

---

(١) سورة الحجرات : ٩ ، ١٠

(٢) سورة النساء : ٥٩

(٣) سورة المائدة : ٢

(٤) سبق تخريجه .

وفى النهاية يجب أن يكون هدف الداعين إلى الإسلام والعاملين له هو - فى المقدمة - الدعوة إلى الاتحاد والألفة واجتماع القلوب ، والتئام الصفوف ، والبعد عن الخلاف والفرقة ، وكل ما يمزق الجماعة ، أو يفرق الكلمة ، من العداوة الظاهرة ، أو البغضاء الباطنة ، ويؤدى إلى فساد ذات البين . مما يوهن دين الأمة ودنياها جميعًا .

يا أمة الإسلام : لا يوجد دين دعا إلي الأخوة التى تتجسد فى الاتحاد والتضامن والتساند والتآلف والتعاون والتكاتف ، وحذر من الفرقة والاختلاف والتعادى والانقسام مثل الإسلام، فى القرآن والسنة .

وهذا قدر يجب أن يتفق عليه العقلاء ، وكل اعراض عن هذه الدعوة - لاسيما فى وقتنا الراهن - إنما هو سلوك متهم ومرفوض غير مقبول ولا معقول . لا عند الله ولا عند الذين آمنوا ، ولا يقوم على أى منطق ديني أو أخلاقى أو اصلاحى . ولا يمكن أن يكون إلا وراءه نفاق خفى ، أو حمق جلى ،

والعـياذ بالله ، فـافـقهـوا يا أولى الألبـاب : ﴿إن أريـد إلا الإصلاح مـا استطعت ومـا توفيـقي إلا بالله عليه توكلـت وإليه أنيب﴾[1] .

(1) سورة هود : ٨٨

المراجـع

* كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ

١ ـ الاعتصام — للشاطبي

٢ ـ اعلام الموقعين — لابن القيم

٣ ـ الانصاف في بيان أسباب الخلاف — للدهلولى

٤ ـ الاسلام دين الوحدة والتكافل الاجتماعي — عبد العزيز حافظ

٥ ـ إعلام المسلمين — المنير محمد الغضبان

٦ ـ أدب الخلاف في الاسلام — د/ طه جابر فياض العلواني

٧ ـ البداية والنهاية — لابن كثير

٨ ـ تلبيس ابليس — لابن الجوزي

٩ ـ التسامح والتعصب بين اليهودية والمسيحية والاسلام — رسالة دكتوراه (عمر بن عبد العزيز)

١٠ ـ جامع بيان العلم وفضله — لابن عبد البر

١١ ـ الخطر الصهيوني على العالم الاسلامي — ماجد الكيلاني

١٢ ـ الخلفاء الراشدون والدولة الأموية — د/ الطيب النجار ومحمد زيتون

١٣ ـ الخصائص العامة للإسلام	د / القرضاوى
١٤ ـ دراسات في الاختلافات الفقهية ـ حقيقتها ونشأتها وأسبابها ـ	د/ محمد أبو الفتح البيانونى
١٥ ـ رفع الملام عن الائمة الاعلام	لابن تيمية
١٦ ـ رؤية اسلامية لأحوال العالم الاسلامى	محمد قطب
١٧ ـ سلسلة مفاهيم خاطئة يجب أن تصحح	د/ عمر بن عبد العزيز
١٨ ـ شبهات التكفير	د/ عمر بن عبد العزيز
١٩ ـ الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف	د/ القرضاوي
٢٠ ـ الصحوة الاسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم	د/ القرضاوي
٢١ ـ العواصم من القواصم	لأبي بكر بن العربي
٢٢ ـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الاسلامى	شوقي خليل
٢٣ ـ النفاق والمنافقون على عهد رسول الله	ابراهيم على سالم
٢٤ ـ واقعنا المعاصر	محمد قطب
٢٥ ـ الوجيز في علم الخطابة	عمر بن عبد العزيز
٢٦ ـ اليهود في القرآن	عفيف عبد الفتاح طبارة

الفهرست

الموضــوع	الصفحة
العصبية الجاهلية	٧٧
التعصب الأعمى	٨٠
الجهل بطبيعة هذا الدين	٨٣
الفهم الخاطىء فى حياة المسلمين	٨٥
اتباع الهوى والاعجاب	٨٨
شبهات وافتراءات	٩٠
الافراط او التفريط	٩٢
[illegible] والخلافة الراشدة	٩٥
[illegible]	٩٧
علاج [illegible] الفرقة فى القرآن والسنة	٩٩
١ ـ مخالفة الشيطان	١٠١
٢ ـ معرفة أولياء الشيطان	١٠٣
٣ ـ معرفة سبيل الله القويم	١٠٩
٤ ـ الايثار والحرص على مصلحة الدين	١١٢
٥ ـ تحقيق معانى الأخوة والعدل	١١٥
٦ ـ الالتزام بأدب الخلاف مع الانصاف	١٢٠

الموضـــوع	الصفحة
٧ ـ علم نافع مع فهم شامل	١٢٣
٨ ـ تصحيح المفاهيم الخاطئة	١٢٥
٩ ـ الاخلاص والتجرد من الأهواء	١٢٨
١٠ ـ القدرة على مواجهة الأعداء بالعلم والمعرفة	١٣١
١١ ـ اتباع المنهج الوسط وترك التنطع فى الدين	١٣٤
١٢ ـ العمل على اعادة الخلافة الراشدة، وتحكيم الشريعة	١٣٧
عوامل وحدة المسلمين (نظم)	١٤١
الخاتمة	١٤٥
المراجع	١٥٣
الفهرست	١٥٥

رقم الإيداع ٩٦/١٠٠٩٠

الترقيم الدولي

I.S.B.N.

977-19-1676-9